مخطوطة بن إسحاق
مدينة الموتى

حسن الجندي

مخطوطة بن إسحاق / رواية

حسن الجندي

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩

OKTOB NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، اش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/١١٣٢٢

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٠٦٠- ٣

مخطوطة بن إسحاق

مدينة الموتى

رواية

حسن الجندي

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى روح صديقي الغالي (يوسف) ..

غفر الله لك ولأصدقائنا ..

مقدمة

ظل الشاب مغمض العينين وهو يرتجف ومن جسده تخرج اهتزازات خفيفة دلالة على الخوف ، أما من خلفه فقد تحرك ذلك الكائن الغريب وهو يتجه ناحية الشاب .

كان الكائن متوسط الطول لا يرتدي شيئاً تقريباً ، ولكن الغريب أن جلده مغطى بالكامل بالشعيرات الطويلة .. وفي أعلى رأسه وبين الشعيرات كانت هناك قرون صغيرة تخرج منه

أما الشاب فكان يرتدي ملابس غريبة بعض الشيء لا تمت لهذا العصر ...

ملامح الشاب غريبة تعطيك انطباعاً من أول مرة أنها ليست ملامح عربية ، ربما كانت بوجهه لمحة من الوسامة لا تخفى على أحد بالرغم من حدة وجهه والتصاق حاجبيه .

مشهد غريب جداً فالشاب يقف في غرفة خالية تماماً وهناك شمعة صغيرة بجانبه على أرض الغرفة ، أما الشاب نفسه فقد كان مغمض العينين وقد أعطى ظهره للكائن ، فهو لم ينس التحذير الذي سمعه قبل أن يحضر الكائن ، يجب عليه أن يغمض عينية ولا ينظر خلفه أبداً في فترة حضور الكائن .

كان الحوار يجري بينهم بلغة غريبة تشبه العربية ... أعتقد أنها الفارسية .

- " ماذا تريد أيها الطفل ؟؟ "

انطلقت تلك العبارة من الكائن الذي يقف خلف الشاب ، انطلقت بنبرات خافتة جعلت القشعريرة تسري في جسد الشاب الذي رد بنبرات مرتعشة :

- " أريد القوة ، القوة المطلقة والأمان باقي حياتي "

إقترب الكائن من الشاب أكثر حتى أصبح على مسافة سنتيمترات من الشاب ، ثم اقترب برأسه من أذن الشاب وقال :

- " إذا أردت القوة سنعطيك بعضها ، ولكن إذا أردت السيطرة فيجب عليك تقديم قرابين من البشر "

قال الشاب وهو يرتجف :

- " أوافق "

فقال الكائن :

- " إذن أدر وجهك لي ولا تفتح عينيك ، ونفذ كل ما أقوله لك "

١- مخطوطات وأشياء أخرى

التفت (يوسف) إلى صديقه قائلاً :

- " ما رأيك في سور الأزبكية ؟ "

- " ممل لدرجة رهيبة .. ماذا أستفيد من بعض الأكشاك تبيع كتباً قديمة لا تساوي شيئاً ؟ "

- " لكن انظر إلى تلك الجنة كل ما تحتاجه من الكتب القديمة ذات الورق الأصفر العتيق والغلاف السميك الذي يشعرك بأنك تمسك التاريخ نفسه بين يديك "

لقد كانت تلك هي الزيارة الأولى ليوسف لسور الأزبكية فقد كان يسمع عنه قديماً وقد رسم له في مخيلته أنه سور طويل والباعة يفترشون الكتب على الأرض ، لكنه صدم من تلك الطريقة الغريبة في رص الأكشاك الخشبية بجانب بعضها البعض ، التي تشعره أنه ذاهب إلى السوق ليشتري خضار أو فاكهه .. ولكنه استمتع من رؤية كل تلك الكتب التي كان يحلم باقتنائها ، فقد تربى على مجلات مثل (ميكي) و (سمير) ، وعندما زاد عمره قرأ روايات رومانسية وبوليسية وبعض روايات الرعب . ولكنه شعر بأنه يجب أن يقرأ كتباً

كبيرة الحجم ثقيلة الوزن ، فربما أعطته تلك الكتب العلم الوفير الذي يسمع عنه .

– " تفضل يا سيدي ستجد عندي ما تريده "

بالطبع تلك الجملة من أحد باعة الأكشاك ليوسف ، ولكن يوسف لأنه لم يكن معتاداً على تلك الطريقة من الباعة فقد اعتبر تلك العبارة مودة زائدة ، وبالفعل اتجه لصاحب الكشك

– " تحت أمرك "

– " أريد كتاباً قديماً "

– " ما اسمه ؟ "

– " لا أعرف !! "

– " ماذا ؟؟؟ "

– " أريد أي كتاب قديم يتحدث عن شيء مهم "

وبالطبع لم يتمالك البائع نفسه من الضحك حتى احمر وجه (يوسف) خجلاً

– " عندما تعرف ما تريد فأنا تحت أمرك "

فذهب (يوسف) إلى كشك أخر ينظر داخله ، ليرى خليطا غريبا من كتب دينية وكتب فضائح وكتب سياسية وكتب جنسية و مجلات أجنبية وعربية . ولكنه شعر بخيبة

الأمل فقد كان يعرف أنه لا يعرف ماذا يريد من البداية ..! وأنه لن يرى ما يريده ، بل هو يسير هو وصديقه لينظر إلى الكتب بانبهار ويبحث عن الكتب القديمة التي في داخل نفسه يعرف أنه لن يشتريها

- " لقد تعبت من المشي هيا بنا نستريح على ذلك المقعد الحديدي "

كانت تلك العبارة من صديق (يوسف)

فأجابه (يوسف) :

- " كشك أو أثنين ونعود للمترو مرة أخرى "

وهنا رأى (يوسف) رجلاً عجوزاً يجلس داخل كشك ــ أمام المقعد الحديدي ــ على الأرض فجذبه المنظر ودخل إلى الكشك

- " السلام عليكم يا حاج "

نظر العجوز ببطء إلى (يوسف) لتظهر أن عين الرجل اليسرى بيضاء تماماً ووجهه مليء بالتجاعيد

- " وعليكم السلام يا بني "

- " هل تبيع كتباً قديمة يا حاج "

ضحك العجوز بطيبة وقال :

- " يا بني أنا لا أمتلك غير الكتب القديمة ، إبحث في الكتب التي على الأرفف واختر منها ما شئت "

فرح (يوسف) بهذا العرض الذي سيجعله يرى أسماء الكتب بدون أن يدفع مليماً واحداً ، غير أن هذا أول عرض يتلقاه بأن يبحث بنفسه ، وبالفعل بدأ البحث ورأى الكثير من الأسماء

(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)

(مذبحه القلعة برؤية جديدة)

(نظم الملك)

(العرائس)

(تهافت التهافت)

(انهيار دولة البطالسة)

ولكنه جاء إلى مجموعة كتب بعينها تم ربطها بحبل غليظ .. يدل أثر الحبل على غلاف الكتاب أنه مربوط منذ مدة ، ففك الحبل وبدأ في قراءة أسماء تلك الكتب باستغراب ....!!

(الهياكل السبع)

(الدر والترياق)

(الأجناس لأصف بن برخيا)

(المنظومة السباعية)

(شمس المعارف الكبرى)

(الأربعون الإدريسية)

(المفتاح الكبير لسليمان)

(الدر المنظم في السر الأعظم)

(النور المبين في تحضير القرين)

لا يعلم (يوسف) لما اقشعر جلده من أسماء تلك الكتب ..!! ربما من ملمسها !!! لا يعرف لكنه رأى كتابا قد شد انتباهه ، في الواقع لم يكن كتاب بالمعنى الحرفي بل هو سبع ورقات من الحجم الكبير ، وهناك خيط يجمعهم من جانبهم الأيمن كي لا ينفك الورق ، ولكن ما شده أكثر هو ملمس الورق ، فقد كان ورقاً خشناً وسميكا وقد كتب في أول ورقة من الأعلى بخط يدوي

(عن رواية الرحالة أحمد بن إسحاق البغدادي)

فنظر (يوسف) لصاحبه وقال

- " ما رأيك بهذا الورق ؟؟ "

- " بالتأكيد هذا الورق يتحدث عن هراء من شاكلة ابن فلان قابل ابن علان يوم كذا وكذا ، وقد أمر الوالي بذبحهم بعد خيانتهم له ، صدقني لن تحب هذا الهراء ، ستجد مثله كثيراً في كتب تاريخ الثانوية العامة التي درسناها !!! "

- " ولكن يبدو من ملمس الورق أنه قديم ، ربما كان نادراً كذلك ، وبالتالي سعره سيكون مرتفعاً ولن اشتريه بالتأكيد ، دعني أسأل عن سعره من باب الفضول لا أكثر "

- " بكم ذلك الكتاب يا حاج ؟ "

ولوح (يوسف) بالورقات ناحية العجوز ليراها ، ولكن العجوز رد بسرعة :

- " عشرة جنيهات "

- " ماذا !!! "

- " عشرة جنيهات يا بني ، أي كتاب عندك بعشرة جنيهات "

هنا نظر (يوسف) لصاحبه بدهشة ثم قال :

- " سأشتري هذا الورق "

كاد صاحبه يموت من الغيظ ، لأن (يوسف) قد تراجع عن كلماته بسرعة ، وكاد يعترض إلا أنه أخرسه بأن أخرج

من جيبه عشرة جنيهات ليعطيها للرجل ، فقربها من يد الرجل بدون كلام ، ولكن الرجل لم يحرك ساكناً وكأنه لا يراه ، فنادى (يوسف) على الرجل

- " يا حاج تفضل النقود "

وهنا رفع العجوز يده المعروقة ملوحاً بها في الهواء باحثاً عن النقود قائلاً :

- " سامحني يا بني ، لأنني لا أرى جيداً بعيني الوحيدة فأنت تعرف أحكام السن "

أدرك هنا لما لم ينتبه العجوز للورق الذي يحمله .. فربما كانت قيمته أكثر من عشرة جنيهات ولكن ضعف نظر العجوز جعله لم يلاحظ ما قد أخذه ، وقد عقد صفقة رابحة للغاية

***

ظل (يوسف) جالساً أمام شاشة الكومبيوتر كعادته في إجازة نصف العام التي قاربت على الانتهاء ، يتابع المنتديات وبريده الإلكتروني بملل، ولكن قبل الفجر بما يقرب من الساعة ، دخل شخص يطلب الحديث مع (يوسف) على إيميله الخاص به .!! فوجده صاحبه الذي كان يرافقه منذ أيام لسور الأزبكية

- " كيف حالك ؟"

- " الحمد لله "

- " لم أرك منذ زمن "

" زمن !! لقد كنت معك أول أمس في سور الأزبكيــة ، يوم ابتعت الورق الغريب ، ما رأيك فيه ؟ "

- " لم أقرأه بعد ، ولكنني سأقرأ ذلك الورق قريباً "

وسار نمط الحديث ككل مرة مع صديقه قرابــة النــصف ساعة .. حتى انتهت المحادثة بينهما ، ولكن (يوسف) شــعر أنه لكي يرضي ضميره على العشرة جنيهات الــتي دفعهــا في الورق ، فيجب عليه قرأته ، وفعلاً قام ليحضر الورق ثم وضعه أمامه

سبع ورقات من الحجم الكبير ، والكــثير مــن الكــلام مطموس بل وفي بعض المواضع قد تداخلت بعــض العبــارات البسيطة على بعضها ، ولكن بشيء من العسر يمكن تبين كنــه الكلمات

((عن رواية الرحالة أحمد بن اسحاق البغدادي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

"بسم الله الرحمن الرحيم الغفور الحليم خالق الجبال وقاهر الجبابرة مالك السموات والأرض رافع السموات بغير أعمدة وفقنا الله يوم النفخ في الصور ويوم العرض عليــه وأدخلنــا جنته وحفظنا من ناره " كتب سيدي وشيخي العلامــة بــن

إسحاق في كتابه كنز الرحلة بعنوان مدينة الموتى في فصل رحلته إلى مصر * أنه سار من إحدى قرى الصعيد حتى أهلكه التعب فرأى على مرمى البصر سوراً طويلاً يتوسطه باب عظيم فاقترب منه فرأى على السور نقش كلمات كأروع ما يكون تقول * يا معشر الإنس والجن لا تقربوا هذه البلدة فإن أهلها نيام حتى تقوم الساعة فإذا دخلتم اليوم فليرحمكم الله وإذا لم تدخلوا لا تذكروا موضعها حتى لا يراها غيركم ولكم يوم الحساب جزاء على أفعالكم وسيسألكم الله جل وعلا كيف حفظتم سر هذه البلدة * فلم يتمالك إبن إسحاق نفسه فربط ناقته عند السور ودخل من الباب الحديدي وسار وحيداً * فكانت البلدة كأحد أحياء القاهرة ولكن العجب كأنها بلا بشر فالحوانيت مفتوحة وجاهزة لعرض بضاعتها ولكن لا بشر سوى إبن إسحاق * فسار إبن إسحاق حتى خرج عليه من أحد الحوانيت رجل أسود اللحية عظيم الشحم أبيض البشرة يقبض بيده اليمنى على عصا كبيرة * اقترب الرجل من إبن إسحاق ودعاه لأن يستريح في بيته وقال بأنه لحاد البلدة وأنه يكنى بمحمد السالمي * وحدثه اللحاد أن مرضاً غريباً اجتاح البلدة فمات كل من فيها * فدخل إبن إسحاق بيت الرجل * وسأله عما حدث للبلدة فقص الرجل على شيخنا قصة عجيبة * منذ سنين طويلة كانت البلدة مزدهرة ومليئة بالتجار من كل البلاد وكل الأجناس حتى جاء فتى من بلاد الفرس يدعى

الحي بن القصاب وكان يفعل العجائب فكان يجري على الماء ويطير فوق الأرض ويقول كلمات فيتحول الماء إلى عسل * وإذا لمس جداراً أو بيتاً تصاعد من حوله صوت قوي ثم يتحول البيت إلى ذرات وفتات * ثم أعلن الفتى عن أنه في مقدوره أن يحول الفقراء إلى أغنياء وأنه يحتاج إلى أربعة من البشر ليثبت صدقه * فتقدم إليه أحمد بن يزيد صانع السجاد و يوسف العطار و أحمد بن إبراهيم بن محمد و شاب فقير يدعى إسماعيل الحلاج

واجتمع بهم الفتى الفارسي في بيته الذي اشتراه عند وصوله البلدة * وقضوا الليل عنده وفي الفجر خرج من البيت الأربعة فقراء ولم يخرج الساحر ولم نجد له أثراً * ورأينا في أيدي كل منهم مفتاح ضخم لخزائن كبيرة تحت دار كل منهم تحتوي على ذهب وأشياء بديعة الصنع براقة المنظر * فاتت سبع ليال وحضر أهل البلدة ليروا أحمد بن يزيد وقد سال من حلقه سائل أبيض وأخذ يقول كلمات غريبة وكأنه يخاطب ....(جزء غير واضح من الورق) .... فوقع أرضاً وقد أصيب بالحمى وأخذ يشكو أنه رأى في منامه وكأنه يحمل من أربعة رجال طوال البنية سود الوجوه صلع الرؤوس حمر الأعين أنزلوه على صخرة * وتقدم منه رجل ....(جزء غير واضح من الورق) .... فذبحه الرجل بعد أن قرأ عليه الكلمات * وأخذ أهل البلدة يداوونه من

الحمى * وعند اقتراب الفجر سمع جميع أهل البلـدة صـفير طويل وكأنه صفير الرياح * وبعد انقطاع الصفير خرج مـن فم وأنف وعين أحمد بن يزيد دماء كثيرة حتى توفاه الله عند الشروق * بعد سبعة أيام أصاب أحمد بن إبراهيم بن محمد ما أصاب أحمد بن يزيد * وروى لنا نفس الحلم الذي رواه لنـا أحمد بن يزيد وعند الفجر سمعنا الصفير وخرجت الدماء منه ومات * ...(جزء غير واضح من الورق) فسمعنا الـصفير وعرفنا أن يوسف العطار سيموت * ومات يوسف العطـار بعد أن خرج الدم من جسده * طلع الصبح علينـا ورأينـا إسماعيل الحلاج وهو يغادر البلدة ويخرج وحيداً إلى الفـلاة فسألناه ولكنه لم يجبنا غفر الله له * بعد سبعة ليال أصـيب أهل البلدة بمرض غريب فكان الواحـد منـهم يـصرع في الأرض ويخرج الدم من جسده ثم يموت ولا نفهم السبب * ومات أهل البلدة جميعاً ولم يبق غـيري فعينـتني الحكومـة المصرية حارساً للبلدة أهتم بها إلى أن تأتي لتـوزع أمـلاك البلدة * طلب اللحاد من بن إسحاق أن ينام لأن الليل قـد حل * ففرش اللحاد حشية لابن إسحاق ونام جواره علـى الأرض وعند شروق الشمس استيقظ بن إسحاق فلم يجـد اللحاد بجواره بل وجد قصاصة من ورقتين كتب عليهمـا * بسم الله الذي لا يضر مـع اسمـه شـيء في الأرض ولا في السماء * إجتمع الساحر بالأربعة فقراء ثم جعلهم يحفظـون هذه الكلمات .

سمامها طولام فقدشبينا يوهانيط سمـــسمائيل يـصيفيدش إحرق كل من عصى أمرك بحق إصطفار و بيوم عمياخ وبحياة هليع بحق إصطفار وبيوم عمياخ وبحياة هليع يا من تسمعون في وادي القرنيم بحق سيدكم وبحق مقبلكم فكوا قيـد بـن ذاعات فكوا قيد بن ذاعات فكوا قيد بن ذاعات فيدعاهاط موسماعل بق حق إذا أحضرتم أحرقكم المولى بحـق وصـيل مشموهوه شرطيائيل موهوقمي نوخيشما بهدار مخلهي * وبعد أن حفظ الأربعة الكلمات جلس الأربعة وفي وسطهم شمعـة صغيرة إذا ارتفع لهبها إلى سقف الدار كان خادم الجن قـد حضر * و جلس الحي بن القصاب بعيدا عنـهم * ثم بـدأ الأربعة ينطقون الكلمات بصوت واحد حتى انتهوا منـها * وفجأة ارتفع صوت الحي بن القصاب وهو يقـول * أريقـاً أريقاً فليقاً فليقاً حليفاً حليفاً إئتـوني مـستكين مـستكين مستكين احضروا أينما تكونوا احضروا فإنكم محاطون به من كل جانب سمسائيل الهوام يحاقوف المخلهي سمسائيل الهـوام يحاقوف المخلهي ارجعوا يا جنود المارد ارجعوا يا جنود المارد فكوم يا حليق فكوم يا حليق لخدام هاميم بحق سمـسائيل أن تأتيني احضروا يا جنود المارد لتكونوا الجيش الأعظم الوحى الوحى العجل العجل الساعة الساعة احضروا بحق مخلـهي * فارتفع لهيب الشمعة إلى سقف الدار وحضر المـارد لينفـذ طلبات الساحر حتى انبلج عليهم الفجر ولم يعلم أحـد مـا حدث بعد ذلك حتى مات الثلاثة فقراء وهرب الرابـع إلى

دمياط ولا يعرف أحد ماذا حدث له حتى ظهر ..... (جزء غير واضح من المخطوطة) ..... فأطلب منك يا أخي قبل أن تكمل رحلتك أن تذهب إلى مقابر البلدة التي ستجدها في آخر صف الحوانيت شرقي البلدة لتقرأ الفاتحة لأموات البلدة وتدعو لهم بالمغفرة وأن يرحمهم الله * فبعد أن انتهى شيخنا بن إسحاق من قراءة الورقة حاجياته ونزل من بيت اللحاد و اتجه إلى شرقي البلدة * ورأى صف الحوانيت فمشى بجواره حتى وصل للآخره فوجد مقابر كثيرة تملأ الصفوف فوقف أمامها للدعاء لأصحابها * فلمح بعينيه حجراً على أحد القبور مكتوب عليه المتوفى إلى رحمة الله محمد السالمي اللحاد أدخله الله فسيح جناته * فاندهش بن إسحاق كيف كان يكلمه محمد السالمي وهو من الأموات * فجرى بن إسحاق إلى أن وصل إلى ناقته التي ربطها في سور البلدة وركبها وسار بها وعندما نظر خلفه لم يجد أثراً للبلدة ولا لسورها الطويل * فحمد الله على سلامته وأكمل طريقه إلى أن وصل إلى القاهرة)) .

انتهى (يوسف) من قراءة الورقة وقد شعر برجفة غريبة تسري في جسده ، لم يعرف أهي نسمات هواء الفجر أم هو الرعب مما قرأه في تلك الوريقات ؟ كان أول ما فعله هو أن دخل إلى الحمام ليتوضأ حيث أنه قد سمع أذان الفجر وهو يأتي له من المسجد القريب ، توضأ ليستعد للصلاة وأيضاً لكي يهدأ مما قرأه .. فقد كان تأثير ما قرأه عليه رهيباً ، لقد شغل كل

تفكيره ، فدخل ليصلي الفجر حتى انتهى منه وقد شعر براحة نفسية أزالت بعض الرعب الذي دخل في قلبه بعد قراءة تلك الوريقات .

بالرغم من الرعب الذي داخل نفسه إلا أنه قد انجذب لتلك الكلمات التي قرأها ، حتى أنه شعر معها أنه يعاصر الأحداث ، وأنه هو أحمد بن إسحاق ، ولكن من أحمد بن إسحاق هذا ؟

هو لم يسمع به من قبل ، ولكن الاسم له رنين جميل يجعلك تحترمه في التو واللحظة .. فالاسم يذكرك بالعلماء الأجلاء الذين كنا نقرأ أسمائهم بشيء من العسر في المراجع التاريخية ، فيكفي أن ترى الاسم ليعطيك رهبة من صاحبه ، وتتخيله شخصاً طويلاً عريضاً مهاباً له كيان كبير .. أخذ (يوسف) يفكر كثيراً وهو يجلس على فراشه في الشخصيات التي قرأ عنها منذ قليل ، إن الأحداث التي تم سردها غريبة جداً ولم يسمع بمثلها من قبل غريبة على ذلك العصر !! عصر لم يعرفوا فيه أسماء مثل (سوسو) و (ميمي) بل أسماء أخرى فيكفي أن ترى اسماً كاسم (الحي بن القصاب) أو (إبن إسحاق) لتقف مهابة لتلك الأسماء ، فلا أعتقد أنهم كانوا سيقبلون أسماء هذه الأيام ... فربما كان اسم (مصيلحي) بالنسبة لهم ركيكاً ، أو يكونوا قد استخدموه للتدليل ، ثم هذا الشخص الذي يدعى (محمد السالمي) يظهر في النهاية أنه شخص ميت ..!!!

لو كانت تلك الورقات هي محاولة لتأليف قصة رعب فقد نجح مؤلفها وربما كان ليصير كاتب رعب شهير في عالمنا لــو كان يعيش الآن ، أما لو كانت تلك الكلمات حقيقية فتلــك مصيبة أشد ، فهذا يعني أنه يمتلك نصاً حقيقياً لمخطوطة وأن ما جاء بها حقيقي ١٠٠ % ...!!

***

مشهد غريب للغاية الذي نراه الآن!! حيث من المعروف أن لون الرمال دائماً يميل إلى اللون الأصفر أو إلى البني الــداكن، ولكن أن يكون لون الرمال أحمر قانياً هذا هو الغريب ! فقــد كانت الرمال على امتداد البصر وكأنها بلا نهاية ، حــتى دوى فجأة في المكان صوت مفزع ، كأنك تسمع ألــف شــخص يعذب أو كأنك تسمع صوت حيوان يسلخ وهو حي .

وهنا بدأ الهواء يتخلخل بطريقة غريبة ، حتى بدأت الرؤية تصعب على من يشاهد المنظر ، وتصاعد دخان كثير في الهواء حتى ارتفع من الدخان لسان طويل من اللهب الذي يميــل إلى اللون الأبيض ، لهب أبيض ؟؟؟!!

وفجأة دوت فرقعة تصم الآذان في مكان الخلخلة ، ليظهر جيشان عظيمان متباعدين عن بعضهما !!!! ولكن كل منــهم يعدو بسرعة ليقابل الأخر ، كان الجيش الأول يتكــون مــن رجال طوال شعر الرأس يصل طول شعر الواحد منهم إلى مــا

تحت خصريه ، عيونهم مشقوقة بالطول يتخللها لون أخضر قاتم وملابسهم تلتصق بأجسادهم ، وكأن من ينظر لها يتبادر إلى ذهنه أنها جلودهم وليست ملابسهم ..!!

أما الجيش الأخر فكانوا سود البشرة صلع الرؤوس ، عيونهم كبيرة جداً ، حتى أنك عندما ترى الواحد منهم تعتقد أن عينيه تأخذ نصف وجهه ..!!

ولكن المشكلة ليست بالعينين المشكلة أن العينين من داخلها لون أسود قاتم فلا ترى الحدقة أو القرنية فكلها سوداء فكيف يرون ؟

لا يرتدون أي ملابس بل هم عراه تماما ، ولكن أجسادهم مليئة بالشعر الغزير ، يطلقون من أفواههم ذلك الصوت الذي شبهناه منذ قليل بصوت حيوان يسلخ جلده وهو حي ، الآن الجيشان يقتربان من بعضهما بسرعة كبيرة ، ترى ماذا سيحدث ؟

ولكن ما دخل هذا في قصتنا الآن ؟

ربما نعرف بعد قليل

***

صوت أذان الظهر يتردد من المسجد القريب ، ويتخلل أذن (يوسف) ليجعل النوم يطير من رأسه رويداً رويداً ، ليستيقظ ولكنه يحاول العودة للنوم فلا يستطيع ، يتقلب على الجانب

الأخر ليحاول العودة مرة ثانية للنوم اللذيـــذ ، ولكـــن كـــل محاولاته باءت بالفشل .

بدأ يفتح عينيه وهو مازال نائماً على ظهره يحاول أن ينبـــه حواسه لإستقبال يوم جديد ، يترل من على الفراش ليذهب إلى الحمام كما هي عادته اليومية ، حيث أنه يظل في الحمام قرابة النصف ساعة ليخرج شخصاً أخر وقد أصبح منتعشاً ومبتسماً للحياة ، لا يعرف أحد ماذا يحدث في الحمام ، ولا يهتم أحـــد بأن يعرف ، الذي يعرفه أهله أنه لن ينـــهي حمامـــه قبـــل أن يتوضأ .. يخرج ليصلي صلاة الظهر في غرفة نومه ، ويبدأ رحلة البحث في ثلاجة المترل عن أي شيء يؤكل ، حتى تقع يديـــه على أي شيء تتخيله ليضعه في فمه ، فهو لا يدقق على نوعية الطعام ولكنها عادة منذ صغره ، أن يضع أي شيء في فمه بعد استيقاظه مباشرة .

ذهب بخطوات بطيئة ناحية جهاز (الكومبيـــوتر) الـــذي يضعه في صالون مترله ليفتحه ، ثم يبدأ في ممارسة حياته الرتيبة المملة ، وكأنه قد فقد الذاكرة ثم استعادها مرة أخرى اتسعت عيناه وقد تذكر فجأة آخر شيء فعله البارحة قبل أن يخلد إلى النوم

لقد كان يقرأ في تلك الوريقات ، لقد تذكر كـــل شـــيء الآن .. وهنا قام إلى غرفته ليحضر الورق وعاد إلى الكومبيوتر وفعل أول شيء خطر إلى ذهنه .

لقد قال في باله " لما لا أبحث في شبكة الانترنت عـن أي معلومات تخص تلك الحكاية التي قرأها أمس ؟! "

ففتح أحد مواقع البحث الشهيرة ، وجال بخاطره مـاذا يكتب في مربع البحث ...؟

كتب في المربع (إبن إسحاق) وبدأ البحث ليرى أن جميع المواقع التي ظهرت في البحث كانت تخص (إبـن إسـحاق) الذي كتب كتاب (سيرة إبن إسحاق) الذي يتحدث عـن حياة (النبي) صلى الله علية وسلم ، فما كان منه إلا أن أعاد البحث ، ولكن كتب في خانة البحث هذه المرة (أحمـد بـن إسحاق البغدادي) ، وظهرت النتائج له .

أول ثلاثة مواقع في البحث كانت تتحدث عن أسماء رجال كانت تدخل في أسماءهم اسم (إسحاق) أو (البغـدادي) ، أما الموقع الرابع فعند دخوله وجده منتدى مغموراً ، كتب فيه موضوع عنوانه :

(أساطير العرب ومقارنتها مع الواقع)

أما الموضوع نفسه فقد تحدث عن أساطير من حياة العرب في البادية ، وعلاقتهم بالجن .. ولكن في أحد أجزائـه كتـب الآتي :

((وننتقل الآن إلى أسطورة لم تنل الشهرة ولا الـصيت الذي نالته باقي أساطير العرب ، فنحن نتكلم عن شخـصية

تدعى " أحمد بن إسحاق البغدادي " والذي قيل عنـــه أنـــه رحالة يجوب البلاد شرقها وغربها لا يكل ولا يمل ، ولكـــن كتب في مراجع متفرقة أن له حكايات كثيرة تتعلق بالسحر والسحرة ، وأشهرها حكايته مع تلك المدينة التي كتب عنها في كتابه (كنز الرحلة) وسماها (مدينه الموتى) ، وحكـــى عنها أنها مدينة خالية ، لا بشر فيها ولا حياة وأنه وجدها في طريقه من قرية مصريه قديمة إلى القاهرة في مصر ، فظهـــرت فجأة واختفت بطريقة غريبة ، حتى لم يكن من الوالي إلا أن أحرق كتابه (كنز الرحلة) وكتابه (غـــواص اللؤلـــؤ) ، ويقال أنه اختفى بعدها ، ولم تصلنا مـــن أخبـــاره شـــيئاً إلا حكاية تلك المدينة ، والحقيقة أن هناك أساطير كثيرة نسجت حول هذا الرجل منها الحقيقي ومنها المريب والذي يـــصعب التفرقة بينهم .))

وفي منتدى آخر كتب موضوع بعنوان :-

(الرحالة أحمد بن إسحاق البغدادي)

((ولد في ممباسا وعاش الكثير من عمره في بغداد ولذلك لقب بالبغدادي ، درس الفلك والطب ولكن لم يكن له نبوغ خاص في الأخيرة ، حيث انصبت جل شهرته على الفلـــك ، وقد ألف هذا الرحالة كتابين أحدهما هو (غواص اللؤلـــؤ) وكان يختص بالفلك والكواكب ، والأخر (كنز الرحلـــة) وكان يختص برحلاته العجيبة في البلاد التي زارها ، ولم يصلنا

من كتابيه سوى شذرات بسيطة ، وبعض المخطوطات الـــتي فقد أكثرها وذلك بسبب حرق كتبه واتهامــه بالاشـــتغال بالسحر ، ثم اختفائه في نهاية حياته والذي أثار جدلاً حـــول شخصيته .))

كان عقل (يوسف) في تلك اللحظة يعمل بسرعة كبيرة ، غير مصدقاً للمعلومات التي أمامه .. حتى خرج من الـــصفحة التي كان يتصفحها إلى صفحة أخـــرى كتـــب بهـــا عنـــوان عريض :-

" مخطوطة الشيخ أحمد بن إسحاق البغدادي "

_ (دار الجدل حول حكاية تروى وتنسب إلى الرحالـــة العربي الشيخ (أحمد بن إسحاق) ، في إحدى رحلاته داخل مصر .. قد دخل مدينة كل من بها أمـــوات ، ورأى فيهـــا العجب ، حتى أنه قال بأنه رأى شخصاً ميتاً يتحـــدث معـــه وجهاً لوجه .

فقد كان إبن إسحاق مولعاً بالغرائب والعجائب ، حيث كانت له العديد من الرحلات العجيبة التي شاهد فيها الكثير من الأشياء التي تصدم العقل ، حتى أن الناس اعتقدوا بكفره وحرقوا كل نسخ كتبه واتهموه بالاشتغال بالسحر ، وقـــد قيل بأن هناك نصاً من إحدى رحلاته نقله عنه أحد تلاميـــذه والذي يدعى (عبد الرحمن بن إبراهيم بن إسماعيل) ، حيث تحدث في بضع وريقات عن رحلته إلى مصر وأنه دخـــل إلى بلدة هاجمها وباء فقتل كل من بها ولم يبق شـــخص حـــي في

البلدة . هذا الوباء جاء عن طريق السحر ، وأن بن إسحاق قد علم الطريقة التي تم جلب الوباء بها حيث أعطاه إياها ميت من البلدة قابله ، والمشكلة هنا هي ضياع هذه المخطوطة نهائياً ولم تصلنا منها إلا روايات من الأشخاص الذين رأوها منذ القدم ، ويقول فريق من العلماء بأن هذه المخطوطة ليست موجودة وأنها حكاية أسطورية تداولها الأشخاص عبر التاريخ حتى اعتقد الكثيرين صحتها ، أما الفريق الثاني من العلماء فيقول بوجودها ولكن لم يحددوا مكانها أو معالمها ، ولكنهم يستندون في أدلتهم إلى إيراد كلام يتحدث عن المخطوطة في أكثر من كتاب وأكثر من مجلد ، وبرغم الجدال القائم على هذا الرجل إلا أننا نقول بأنه كان أحد الرحالة الذين كتبوا المقارنات بين طرق المعيشة في البلدان ومحاولة مقارنتها بواقعنا العربي .)

وهنا انتصب الشعر في مؤخرة رأس (يوسف) ، لو كان المكتوب عن ذلك الورق الذي يمتلكه حقيقي فذلك يعني أنه الوحيد الذي يمتلك نص تلك المخطوطة

مخطوطة بن إسحاق

أخذ (يوسف) يتحسس الأوراق وهو ينظر لها بتمعن والأفكار تتصارع في رأسه بلا انتظام .

- " لو كانت تلك المعلومات صحيحة فأنا أمتلك نص المخطوطة الأصلية "

وهنا وضع (يوسف) يده يتحسس الورق من جديد ويمرر يده عليه ،لقد شعر منذ الوهلة الأولى بأن ملمس ذلك الورق

غير مريح منذ أن اشتراه ، كان طول الورق يتجاوز طول الورق المستخدم في الطباعة أو الكتابة ، هذا غير أن الحروف بعضها ممسوح وبعضها ممتزج ببعضه مما ينبيء بأن الحبر المكتوب به الكلمات قد تأثر وطار بعضه وامتزج بعضه ليؤدي لاختفاء وعدم وضوح بعض الكلمات والعبارات من داخل الورق ، ثم ماذا عن ذلك الخيط الذي يربط تلك الوريقات من الجانب ؟؟ تلك الطريقة التي لا تمت للطباعة الحديثة بصلة من قريب أو بعيد .

لقد ارتفعت ضحكة (يوسف) وهو يسخر من نفسه !! كيف لم يلاحظ ذلك ؟ إن الكتابة على تلك الوريقات كتابة يدوية ، وذلك للاختلاف الطبيعي بين الكلمات وكبر بعضها وصغر بعضها ، رائحة الورق و ملمسه الخشن السميك !!

وكأنه لا يريد تصديق النتيجة التي توصل لها عقله ويحاول أن يتملص منها بأي حجة يجدها كي يبعدها عنه ، ولكنه لا يجد مفر من أن يعيد تلك النتيجة لعقله مرة أخرى ، هو للأسف لا يمتلك نص المخطوطة الأصلية المفقودة ، ولكنه يمتلك المخطوطة الأصلية ذاتها !!!

***

٢ - الأصدقاء القدامى

نحن الآن في جامعة (....) والتي تضم كلية الحقوق التي ينتسب لها (يوسف) في السنة الثالثة ، ولكننا بالتحديد داخل أروقة كلية الأداب بالجامعة حيث ذهب (يوسف) لرؤية أصدقائه في المكان الذي يجتمعون فيه منذ سنوات .

كانت الكافيتريا قد لاحت لعينيه ، فظل ينظر يمنة ويسرة ، حتى وجد ضالته في سبعة طلاب يتحدثون بصوت عال ، وأحدهم يلوح بيديه يمنة ويسرة يبدو أنه يشرح شيئاً يعتقد أنه مهماً ، اقترب منهم (يوسف) وهو يبتسم ابتسامة خفيفة وهو يتذكر أيامهم منذ زمن .

نعم .. ففي وسط هؤلاء الطلاب هناك خمسة أشخاص يعرفهم منذ المرحلة الإعدادية ، ثم انتقلوا للثانوية ، وهكذا صارت بينهم رابطة صداقة لا تمحى بالرغم من المشاكل والخلافات التي كانت تحدث بينهم ، إلا أنهم دائماً ما ينبذون خلافاتهم وراء ظهورهم .

أخذ يقترب منهم وهم لا يلاحظونه ، حتى صار على بعد خطوة واحدة وقف بعدها يتأملهم باسماً ، كان أحد أصدقائه قد لمحه فنبه باقي الأفراد ليذهبوا هم ناحيته .

" السيد (يوسف) عندنا يا هلا يا هلا "

" تحية كبيرة لسيادة المستشار (يوسف) أكبر مستشاري حي الأزاريطة "

وبدأ التهليل والترحيب من هذا النوع ثم بدأت الأحضان ــ للشباب بالطبع ــ والمصافحات التي وصلت إلى الضرب على كتفه الذي كاد أن ينخلع ، بالطبع نسيت أعرفكم بالأصدقاء الخمسة الذين يفضلهم (يوسف) .

- أولهم هو (محمود إسماعيل) طالب بكلية الآداب قسم التاريخ ، أبيض البشرة يظهر له شارب وذقن . فلا تعرف هل هو نسي حلاقتهما أم هو ينوي تربيتهما ؟ ، وبرغم ذلك هما يعطيانه مظهر الشاب الوقور راهب العلم الذي لا يهتم بالمظاهر ، ولكنه بالطبع عكس ذلك ، جسده يميل للنحول فتارة تعتقد أنه يعاني من نحول شديد وتارة تعتقد أن جسده ليس نحيلا بل هو متناسق ، ملامحه هادئة تظهر عليها المودة والطيبة ، أو كما يقولون في الأمثال الشعبية (ابن ناس) .

- ثانيهم يدعى (مصطفى أسامة) طالب بقسم التاريخ ، أما عن مواصفاته

شعر عادي لا يمكنك تحديد إن كان ناعماً أو خشناً ، لون بشرة قمحي ، طول متوسط ، في بعض الأحيان تراه يرتدي

عوينات للنظر وأحياناً أخرى لا يرتديها ، بشكل عام وجهه مقبول لأي شخص .

- ثالثهم (أحمد محمد عبد الحميد) طالب بالسنة الثالثة في كلية تجارة ، ولكنك تقسم عندما تتعرف عليه أنه لا يمت لكلية تجارة بصلة ، فهو طوال السنة يتردد على الكليات والجامعات الأخرى بهدف السياحة والترفيه ، والأدهى أنك لا تعرف كيف ينجح في كل عام بتقدير (جيد) .

أبيض البشرة هو ممن يطلق عليهم لقب وسيم عندما تراه الفتيات ، ويطلق عليه اسم (الفرفور) ـ وآسف لهذا التعبير ـ عندما يراه الشباب وهو يحادث الفتيات ، ولكنه برغم ذلك لم يستغل ذلك بأي حال ، فهو محافظ نوعاً ما في تعامله مع الفتيات و لم يقم بأي علاقات عابرة مع أي فتاة قابلها ، على عكس أصدقائه .. يرتدي عوينات للنظر ولكن عدساتها غامقة اللون ، لكي لا يظهر للكثيرين أنها للنظر فقط ، ولكنها تعطي لوجهه المزيد من الوسامة بجانب وسامته السابقة ، طويل القامة حتى تشعر أنك بالقصر بجانبه

- رابعهم شخصية يطلقون عليه (حامد رزق) ، ولكن يبدو أن هذا الاسم هو للتدليل ، فإنهم يطلقون عليه لقباً هو دلالة على شخصيته .. (المهييس) ـ إن جاز لي إطلاق الاسم

ـ وتلك الكلمة هي دلالة لفظية بين الشباب على الشخص كثير الضحك والكلام الغريب ، طالب بقسم اللغة العربية ، أصدقاؤه دائماً يندهشون كيف يكون هذا الشخص في قسم اللغة العربية وهو يمتلك قاموساً من الكلمات التي ليس لها معنى يرددها كأنها درر في اللغة العربية ، هذا غير قاموس الشتائم الذي اشتهر به من قبل أن يدخل قسم اللغة العربية

أما عن مواصفاته الجسدية فهي سهلة جداً

طوله يقترب من القصر .. شعر ناعم .. لون بشرته قمحي

خامس صديق لـ (يوسف) هو (إسلام جمال) ، طالب بقسم !! الحقيقة لا يعلم الكثيرين أي الأقسام في كلية آداب هو ؟ لأنك تراه داخل محاضرات قسم الجغرافيا ، أو الفلسفة أو التاريخ أو علم النفس أو أي قسم تتخيله ولكن يبدو والله أعلم أن (إسلام) منتسب لقسم اللغات الشرقية .. لأنه شوهد في أيام الامتحانات يؤدي إختبارته مع نفس طلاب هذا القسم .

أما عن الشكل هو طويل القامة ، يذكرك جسده بمظهر لاعب كمال الأجسام بالرغم من عدم ممارسته لتلك الرياضة ، أبيض البشرة ، عيون عسلية و صوت أجش .

أما الشخصان الباقيان الواقفان مع أصدقائنا الخمسة فهم (رانيا) و (رباب) والحقيقة لا أعلم إلى أي قسم ينتسبون

تم التعارف بين (يوسف) والفتاتين بسرعة وظل الجميع يضحكون ويذكرون النكات السخيفة التي يضحكون عليها مجاملة لقائل النكتة ، حتى استأذنت الفتاتان في الصعود لحضور إحدى المحاضرات .

وهنا نظر (يوسف) لأصدقائه وقال :

- " أريدكم أن تشاركوني في موضوع يحيرني منذ ثلاثة أيام ولم أعرف له حل "

فرد (إسلام) قائلاً بسخرية ضاحكة :

- " حب جديد ؟"

فرد (حامد) سريعاً بغضب وهو يزجر (إسلام) :

- " ليس هذا وقت مزاح "

ثم نظر إلى (يوسف) وقال :

- " هل تخلت عنك حبيبتك بعد أن وعدتك بالزواج ؟ "

فقال (محمود) :

- " وربما كانت الخطيئة وتركتك وأنت حامل "

فرد (يوسف) غاضباً :

- " احترم نفسك أنت وهو "

فرد عليهم (مصطفى) وهو يضحك :

- " اهدأ يا (يوسف) إن ما كانش علشان خاطرك يبقى علشان خاطر اللي في بطنك "

أخذوه حتى جلسوا جميعاً على الحشائش التي تفصل بـــين الممرات داخل كلية آداب .

- " اهدأ يا أخي .. ألا تحب المزاح ؟ "

- " جئت لكم اليوم لغرض هام ، فكيف تطلب مني الهدوء بعد أن بدأتم بالاستهزاء بي ؟ "

ضحك (إسلام) قائلاً :

- " إذن فلتتكلم ، ولتسامحنا على مزاحنا إن ضايقك ، فأنا أعرف أنك عصبي هذه الأيام ، ولكن لا تنزعج فإن الحمل في أوله صعب دائماً "

ضحك الجميع بما فيهم (يوسف) ثم بدأ يتكلم في جدية :

- " لقد عثرت على مخطوطة نادرة جداً "

- " ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

- " ما معنى مخطوطة ؟ "

كانت تلك العبارة السابقة من (محمود)

- " وكل تلك السنوات وأنا أعتقد أنك طالـــب بقـــسم التاريخ ، لكنك وبعد تلك السنوات لا تعرف معـــنى كلمـــة

مخطوطة ، يبدوا أن قسم التاريخ غـير نـشاطه إلى التـدبير المترلي !! "

- " وضح أكثر يا (يوسف) "

وهنا بدأ (يوسف) يشرح الموضوع ، منـذ أن اشـترى المخطوطة من سور الأزبكيه إلى أن بحث على شبكة الانترنت عن معلومات عن (بن إسحاق) ، بالطبع في وسط المحادثـة ذهبوا جميعاً ليحضروا الإفطار .

وبعد أن انتهى من سرد قصته ، نظر لهم ليرى تأثير قـصته عليهم ، وكان التأثير واضحاً على وجوههم .

(محمود) و (حامد) ظهر عليهم عدم التصديق حتى أنك لترى كلمة (أنت كاذب) ستقفز من عينيهما ، أما الباقي فقد ظهرت على وجوههم علامات التفكير ، وكأنهم في مترلة بين الإيمان وعدم الإيمان بقصته ، فما كان من (يوسـف) إلا أن قال :

- " أريد معرفة رأيكم أكثر عن هذا الموضوع ؟ فربما كنت أمتلك مخطوطة أصلية وربما كنت أمتلك وهماً ، لكن الموضوع يستحق التعب ، فما رأيكم ؟ "

هنا تكلم (حامد) ــ المهييس ــ قائلاً :

- " الموضوع غريب يا (يوسف) !! لدرجة أنني اعتقدت في أول حديثك أنك تدبر مقلباً لنا وستفاجئنا في النهاية بعبارة

على غرار " عليك واحد " أو " شربتم المقلب " ، ولكنك تتكلم في الموضوع بجدية مما ينفي تهمة المقلب !! "

- " صدقني الموضوع حقيقي مائه بالمائه ، لدرجة أنني جلست اليومين السابقين أفكر في الموضوع ، وأجمع المعلومات عنه عن طريق شبكة الإنترنت حتى بدأ رأسي يجن "

- " لكن الإنترنت به الكثير من المعلومات الخادعة ، لأن الذين يكتبون المعلومات في الغالب قد نقلوها من مواقع أخرى أو منتديات أخرى ، لكن قليلاً ما تجد باحث حقيقي يكتب معلومات على الإنترنت "

فرد (يوسف) قائلاً :

- " عندما يذكر الأشخاص مصادرهم للمعلومات على المنتديات فذلك يعني أن المعلومات صحيحة أو على أقصى تقدير تكون بعض المعلومات صحيحة "

ساد الصمت بين أصدقاء (يوسف) احتراماً له ، برغم عدم تصديق بعضهم للموضوع ، ولكن هذا الأخير أكمل كلامه قائلاً :

- " لقد أتيت لكم لتساعدوني ، وخصوصاً (محمود) و (مصطفى) لأنكم تدرسون في كلية الآداب قسم التاريخ "

ظهرت ابتسامة ساخرة على وجه (مصطفى) ، بينما قال (محمود) :

- " أتخيل مظهري وأنا أتقدم لأحد أساتذة قسمنا الـذين شاب شعرهم من الخبرة ، لأقول له أن صديقي وجد مخطوطة على أحد الأرصفة تباع بعشرة جنيهات ".

- " سور الأزبكية من فضلك فـلا يوجـد رصـيف في الموضوع "

- " سور الأزبكية !!!! لا عليك .. سور الأزبكية ، ولكن صدقني الدكتور سيعتقد أنني أقلل من شأنه أو أنني أسـتخف بعقله ، وسيكون عقاب الدكتور جاهزاً ، الحكم علي بأن أظل طالباً لبضع سنين أخرى حتى يتوفى الله هذا الدكتور ، لا يمكن ذلك يا (يوسف) "

وقبل أن يرد (يوسف) قال (مصطفى) :

- " انتظر يا (محمود) فهناك حل ، سنقوم بسؤال أحـد الأساتذة في قسمنا بطريقة غير مباشرة وكأننا وجدنا معلومـة عن الموضوع في إحدى منتديات الإنترنت ، ولكن المـشكلة ليست في تلك النقطة "

- " أين المشكلة إذن ؟ "

- " المشكلة تكمن في أنك تسير وحيداً تبحث عن حقيقة هذه المخطوطة ، وبالطبع سيكون سيرك بطيئاً أوعقيماً إن أردت الدقة ، ولكن لو سلمت تلك المخطوطة لجهة عليا أو أحد الباحثين ، سيمكنه أن يبحثها في وقت أقل من الوقت الذي ستستغرقه بالتأكيد ، بل سيمكنه أن يحدد هل تلك المخطوطة حقيقية أم مزيفة أم طباعة عادية ؟ "

- " وهل تعتقد أنني لم أفكر في ذلك الموضوع من قبل ؟ "

- " إذن لماذا لا تنفذه ، طالما هو حل عبقري بهذا الشكل !! "

- " لقد قلت في نفسي لو أنني سلمت المخطوطة لأحد الباحثين ، وحللها ودرسها ووجدها أصلية فإنه سوف يتنكر مني ، وسيعلن للجميع أنه هو الذي وجدها وينسب لنفسه كل الفضل والشهرة ، أما لو قدمتها وكانت مزيفة فسيكون مصيري الاستهزاء والسخرية ، وأنا لا أريد تلك ولا تلك ، لن أقدمها إلا قبل أن أتأكد أولاً من صحتها ، فيمكنني في تلك الحالة أن أعلنها للجميع "

فقال (حامد) المهييس :

- " ربما كنت صادقاً في جزء من كلامك ، ولكن برغم كل شيء فإنك ستبذل الكثير حتى تجد حقيقة تلك المخطوطة"

وفجأة برقت عين (أحمد) ــ طالب التجارة ــ وقد انتفض فجأة وهو يقول :

– " انتظروا ، لقد وجدت خيطاً في كون المخطوطة مزيفة أو حقيقية "

– " اشرح ولا تفزعنا هكذا كل مرة "

– " (يوسف) يقول أنه اشترى المخطوطة من سور الأزبكية ، بالتحديد من أحد الأكشاك "

– " استنتاج لم أصل له فعلاً ، فعلا اشتريتها من أحد الأكشاك .. "

– " دعني أكمل ولا تسخر مني ، إذن لماذا لا يعود (يوسف) لصاحب الكشك ليستفسر منه عن كيف أتى ذلك الورق إليه ، فربما كان الرجل قد توارثها من أبائه ، وربما الرجل اشتراها من مكان معين . في كلا الحالات ستمسك بطرف خيط يقودك للحقيقة "

هنا قفز (يوسف) على (أحمد) وهو يحتضنه ويحاول أن يقبله بمرح

– " عبقري .. عبقري ، كلية الألسن قد استفادت كثيرا بكونك طالباً هناك "

- " يع .. أولا ابتعد عني لإنتشار الجراثيم ، ثانيـا أنـا في كلية تجارة وليست الألسن "

كان المرح قد انتشر وبدأ الجميع بالهرج والمرج

والضرب ، فكأنهم قد استراحوا بوجود لحظات مرح بـين الكلمات الثقيلة التي كانوا يقولونها منذ قليل ، وبعد أن انتهوا من لحظات المرح التي سادهم ، قال (يوسف) :

- " اعتقد أن (مصطفى) و (محمود) قد عرفا ما عليهم، سيسألان أحد الأساتذة الكبار في قسمهم عن (إبن إسحاق)، ثم يسألان عن المخطوطة وما تحتويه وما احتمـالات العثـور عليها؟ أما أنا فسأذهب لسور الأزبكية لسؤال البائع عن تلـك المخطوطة ؟؟ ومن أعطاها له ؟ وليتصل بي من يجد مـنكم أي شيء "

وافقه الجميع بإيماءة منهم ولكن (إسلام) قال :

- " (يوسف) .. هل أنت واثق مـن وصـفك لتلـك المخطوطة من حيث شكلها وأنها ليست ورقاً عادياً ؟ "

- " ستروها كلكم حتماً حينما تأتون لمنزلي "

- " بإذن الله "

- " الآن سأذهب لسور الأزبكية ، من منكم يريد أن يأتي معي ؟ "

تململ الجميع وبدأت الادعاءات فهم بـــرغم كـــل تلـــك المناقشات لم يؤمنوا بعد بصحة كلام (يوسف) ، فظهـــرت الأعذار الجاهزة كموعد المحاضرة التي ستبدأ الآن وكل الأعذار التي يمكن أن تقال ، فما كان من (يوسف) إلا أن ودعهـــم على وعد بالاتصال حين يصل لأي شيء .

***

*** أريقاً أريقاً فليقاً فليقاً حليفاً حليفاً إئتـــوني مـــستكين مستكين مستكين احضروا أينما تكونوا احـــضروا فـــإنكم محاطون به من كل جانب سمسائيل الهوام يحـــاقوف المخلـــبي سمسائيل الهوام يحاقوف المخلبي ارجعوا يا جنود المارد ارجعوا يا جنود المارد فكوم يا حليق فكوم يا حليق نخدام بهاميم بحق سمسائيل أن تأتيني احضروا يا جنود المارد لتكونوا الجـــيش الأعظم الوحى الوحى العجل العجل الساعة الساعة احضروا بحق مخلبي ***

***

٣ — السجين

يبدوا أن المشاهد الغريبة سنراها كثيراً في هذه القــصة !!! ولكن دعني أصف لكم المشهد

نحن الآن في منطقة جبلية وعرة ، ولو أردنــا أن نكــشف المنطقة أكثر ، فسنقول بأن هناك شلالاً من المياه ولا تــسألني كيف أتى هذا الشلال ؟ فأنا أصف لك فقط ، المنطقة يغلفهــا الظلام إلا من ضوء القمر الذي يبعث على الرعب أكثر منــه يبعث على الرومانسية ، ولكن حتى الآن لا يوجد شيء غريب بالمشهد يستحق وصفه !!

ولكن انتظر .. هل ترى ما أراه ؟ بجانب الشلال في داخل الصخور هناك فتحة تشبه فتحة كهف مــن الــتي نراهــا في السينما ، وأعلى الفتحة منقوش على الصخور كلمات بلغــة غريبة لا أعرفها ، ولكن يبدوا أن بها مربعات وخطوط منفصلة عن بعضها ???

رباه ???? ما هذا الذي أراه !! لو كان شخص حي بهــذا المكان ورأى ذلك لمات رعباً

هناك طنيناً يزداد ببطء يكاد يفجر رأسك من الألم ، الطنين يزداد أكثر وأكثر وفجأة ، حدثت فرقعه صغيرة علــى فتحــة الكهف التي رأيناها منذ لحظة ، وظهر لحظتها ثلاثة رجال أمام

فتحة الكهف .. رجال !! لا ليسوا رجالاً فعلى قدر علمي لا يوجد رجال طوال القامة بهذه الطريقة ، ولون جلودهم أحمر ، هذا ما تراه من ظهورهم فقط فأنـــا لا أرى وجـــوههم الآن ، ولكن يبدو أن أحدهم هو القائد لأن الاثنين الآخرين يتبعونـــه في خشوع وهو يدخل إلى الكهف ، ولكـــن هنـــاك شـــيء غريب !! بمجرد دخول الثلاثة رجال من فتحه الكهف تألقت الكلمات المنقوشة أعلى الكهف !!

لا أعرف هل أنا دقيق الملاحظة أم أن ضوء القمر لا يظهر التفاصيل جيداً ؟ أعتقد أنني رأيت لهؤلاء الثلاثة ذيولاً تخرج من تحت ملابسهم !!!!!!

***

الآن نحن داخل الكهف ، دعـــني أصـــف لـــك مـــا أرى بالتفصيل

الكهف تضيئه من الداخل أضواء حمراء و بيضاء لا تعـــرف من أين مصدرها ؟ لكنها إضاءة قوية جداً ، وفي أخر الكهف هناك .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

في أخر الكهف هناك شيء ما يجلس على الأرض مكبـــل بالأغلال من كلا يديه ، والأغلال نفسها منقوش عليها نقـــش غريب ، ربما كان مشابهها للنقش الذي بخارج الكهف

له خلقه مريعة تجبرك على عدم النظر إليه ، حتى لا يـــدب الرعب إلى قلبك ، فوصف شكله هو مهمة عسيرة ولكنـــك

ترى ضخامة جسده وطوله الذي يفوق بالتأكيد طول البشر
جلده بالكامل يميل إلى اللون الأحمر

وجهه طويل ، لا ليس طويلاً بالطريقة التي نعرفها ، بل هو طويل بالكامل أي أن وجهه طويل جدا يصل إلى الأربعين سنتيمتر و الوجه نفسه مضغوط من الجانبين لدرجة غريبة ، له عينان مشقوقتان بالطول لا تتبين لونهما ، ربما لأنك لن تطيق النظر فيهما

أما عن فمه فهو أغرب شيء بوجهه ؟؟ ففتحه فمه تصل إلى أذنيه من الجانبين ، فلو ابتسم يصل جانبي فمه إلى أذنيه اللذين يشبهان أذني الحصان ولكنهم أصغر قليلاً ، ما هذا الذي على رأسه ؟ هناك شعر على رأسه ولكنه ليس طويلاً ، المشكلة ليست في الشعر بل أنه يمتلك في رأسه قرنين صغيرين طول الواحد يقارب الثلاثة سنتيمترات...!!

وهذا الشيء مربوط بالأغلال إلى جدار الكهف من كلا يديه في وضع النسر المحلق ، ولكن ليديه حرية للحركة بعض الشيء وهذا هو ما يجعله يهز الأغلال و يحاول الخروج وقد ظهر على وجهه الغضب من تقييده بهذا الشكل .

وأمامه ما يشبه القصعة أو طبق للطعام ، ولكنه مقلوب والطعام الذي لا نعرف ما كنهه مبعثر في جوانب الكهف ، كان في حالة هياج رهيبة يزأر ويعوي وكأنه حيوان حبيس. ،

ويحرك يديه في جميع الاتجاهات محاولاً فك القيود .. ولكـــن لا فائدة

وهنا دوت الفرقعة التي سمعناها عندما كنا نتأمل المشهد من خارج الكهف قبل أن ندخل لداخله لنصف المشهد من الداخل

وبعد انتهاء صوت الفرقعة دخل الكهف من فتحته الثلاثـــة رجال الذين لم نكن نرى ملامحهم من الخارج

ولكن الإضاءة جيدة هنا ، فيمكنني أن أحــــدد ملامحهـــم جيداً، رباه ...!! إن هذا الشيء المكبل بالقيود لهو ملك جمال بالنسبة للقادمين ، ولكن أكثرهم رعباً هو الذي يخطو ويقودهم والاثنان الآخران يتبعانه بهدوء ، إن هذا الرجل المطاع له خلقه مرعبة بكل المقاييس ، فهو أسوأ من المكبـــل بالـــسلاسل في الشكل مع اختلاف أن وجهه كان ذا لون أسود لامع ولـــيس أحمر كالباقين ويمتلك قروناً أيضاً في أعلى رأسه ، يمتلك ذيـــلاً يقف منصباً وكأن صاحبه متحفز لشيء ما

كان المشهد رهيباً بحق ، فبمجرد دخول الثلاثة رجال هدأ المكبل بالقيود ، وظل ساكناً ينظر بعينيه للقادم .

أما الرجل المطاع والذي يقود الاثنين الذين يتبعانـــه فقـــد وقف في هدوء يرمق المكبل بالسلاسل بعينين نـــاريتين ، ظـــل الاثنان يرمقان بعضهما لفترة طالت ، وكانت بدايـــة الكـــلام للرجل الذي دخل الكهف منذ قليل

- " مرحباً أيها المارد ، ما رأيك في لقبك الجديد يا (إبن ذاعات) ؟ المارد .. سيكون هذا لقبك منذ الآن بعد أن خالفت الأعراف والقوانين "

- " أنا لست مارداً ، لماذا تقيدونني بلا ذنب وتطلقون علي لقب مارد ؟ "

- " بعد أن تمردت على قوانين قبائل الجان ، وبحثت عن مجد شخصي لك بين البشر ، وتحكمت في الجيوش التي تحت يدك لتجعلها في خدمتك لأغراضك الشخصية ، لقد كتبت نهايتك بنفسك يا صاحبي "

ظهر الغضب على المقيد بالسلاسل وهو يقول :

- " أنا (المخلبي بن ذاعات) أبرع قائد من قواد ممالك الجان ، انتصرت لكم في الكثير من المعارك ضد الممالك الأخرى ، وصارت قبائل الجن تخشانا بفضلي ، وبعد هذا تحكمون علي بالسجن "

ارتفع صوت الرجل الواقف بغضب وهو يقول :

- " اسمعني .. لقد كنت تتحكم في جيوش جرارة من أفراد الجن لخدمة مصالح عشائرنا ، ولكنك استخدمتهم في أذية البشر والتحكم بمصائرهم ، لقد أخرقت أحد أعرافنا كجن مسلم لا نتصل بالبشر ولا نضرهم ، وأنت تعرف عقاب من يخالف ذلك ويحاول الإضرار بالبشر .. الموت "

قالها وجلد وجهه يتشقق ويذبل وعينيه تبرز للخارج

- " لقد خدمت قبائلنا في حروب كثيرة ، وانتـــصرت في جميعها بلا استثناء ، فهل هذا يكون مصيري ؟ "

بدأ الرجل يتحرك ناحية المكبل بالسلاسل وهو يقول :

" تحير المجلس في أمرك ، بعد أن كنت خادمنا المطيع الـــذي نبجله ، أصبحت سفاحاً وخطراً مقيماً على البـــشر ، وكـــان يجب قتلك ككل المتمردين ، ولكنني اقترحت علـــيهم وفـــاء لخدماتك لنا ، ولأنك كنت من أعظم قوادنا الحربيين حكـــم عليك أن تقيد في السلاسل إلى أن تموت ، وحكمنا على أفراد الجان التي ساعدتك في إيذاء البشر من داخل جيشك بالنفي في بقاع الأرض ، والتشتت والتفرقة فلن يقدر أحدهم على معرفة مكانك ليحررك "

وهنا قد وصل الرجل إلى المكبل بالسلاسل فانحنى قائلاً :

" لا تفكر بالهروب يا (مخلبي) فسأترك معك حارسين من أقوى أفراد عشائرنا ليقدما لك الطعام والشراب ، ولحراستك أيضاً من أن تهرب ، هذا غير أن جيوشك الخائنة التي ساعدتك في المذابح البشرية التي ارتكبتها لا تعرف مكانك ، ولن تعرفه لأنهم مشتتون في الجبال والمحيطات بلا هدف "

ثار المكبل بالأغلال وهو يحاول التملص من أغلاله بلا فائدة وهو يطلق عواء من بين شفتيه ـ إن كان يمتلك شفتين ـ يصم الأذن ولكن كل محاولاته فشلت

ولكن لحظة ؟

ما دخل ذلك المشهد بقصتنا الآن !!!!!

فلنعد لقصتنا مرة أخرى ....

***

٤ – كشك عم (صبحي)

استقل (يوسف) المترو ليتجه أثناء عودته من الجامعـــة إلى سور الأزبكية ، حيث قرر أن يزور صاحب الكشك العجـــوز ليسأله عن مصدر المخطوطة ، فنزل إلى المحطة المنشودة ولكنـــه فشل في اختيار السلم الصحيح الـــذي ســـيقوده إلى ســـور الأزبكية ...!! حتى أنه تاه مرتين حتى وجد الـــسلم أخـــيراً ، فصعد حتى رأى المشهد الذي احترمه (يوســـف) كـــثيراً ، مشهد الأكشاك المتراصة جنباً إلى جنـــب والمليئـــة بأصـــناف الكتب من شتى المجالات .. ذهب في اتجاه الأكـــشاك وهـــو يبحث بعينيه عن الكشك الذي أشترى منه المخطوطة .

هل هو هذا ؟ لا ليس هو فالثاني كان أصغر من ذلك ، ولا هذا ولا هذا ، وفجأة توقف (يوسف) عند مجموعة أكـــشاك متراصة ، وقد بدأ يتذكر أشكالها ويتذكر أن الكشك المقصود في تلك النقطة بالذات ، أخذ يتمشى حتى رأى المقعد الحديدي الطويل الذي كان أمام الكشك الصغير ، والذي كـــان يريـــد صديقه أن يستريح عليه في المرة السابقة .

***

– " لقد تعبت من المشي هيا بنا نستريح على ذلك المقعـــد الحديدي "

كانت تلك العبارة من صديق (يوسف)

فأجابه (يوسف)

- " كشك أو اثنين ونعود للمترو مرة أخرى "

وهنا رأى (يوسف) رجلاً عجوزاً يجلس داخل كشك ـ أمام المقعد الحديدي ـ على الأرض فجذبه المنظر ودخل الى الكشك

***

تذكر (يوسف) ذلك المقعد فنظر أمامه ولكنه لم يجد الكشك بل وجد مكاناً خالياً وبه شجرة تملؤها الأغصان الخضراء ...!!

كاد أن يجن ، فجرى ناحية الكشك المجاور لتلك البقعة الخالية ودخله ليجد فتى في سن المراهقة يمسك بجلة ويتصفحها

- " تحت أمرك "

- " إذا سمحت أين الكشك المجاور لكم ؟ "

- " ماذا تقصد ؟ "

- " في تلك البقعة الخالية التي بها شجرة كان هناك كشك صغير يجلس به رجل عجوز "

نظر الفتى لعين (يوسف) حتى يتأكد أنه لا يمزح ، ثم ضحك بسخرية وقال :

- " لا يوجد كشك مكان الشجرة ، لأنه ببساطة تلك الشجرة موجودة من خمسة عشر عاماً ، فلا يمكن أن نبني كشكاً عليها إلا بعد أن نخلعها من جذورها "

- " مستحيل !! هناك كشك صغير يجلس به عجوز ويبيع كتباً قديمة "

هنا دخل الكشك رجلا يلبس جلباباً ، ويبدوا أنه في أواخر الثلاثينات ، فنظر إلى (يوسف) والفتى ثم ألقى السلام

فقال له الفتى :

- " هل رأيت يا والدي !!!! الأستاذ يسأل عن كشك يجلس فيه رجل عجوز ، والكشك مكان الشجرة التي بجانبنا ..!! "

نظر الرجل إلى (يوسف) نظرة شك ، يتأمله من أسفل إلى أعلى ، ثم قال :

- " إحك لي يا أستاذ ماذا تريد ؟ "

- " لقد اشتريت منذ ثلاثة أيام مخط ... أقصد كتاباً من الكشك الذي بجانبك ، والذي أرى مكانه الآن شجرة مزروعة !!!! هل أنا جننت لهذه الدرجة ؟ "

- " ربما أخطأت المكان وتشابهت الأكشاك عندك "

- " لقد كنت أحدد مكان الكشك عن طريق الكرسي الحديدي الذي أمامه فكيف أخطئ ؟! "

- " صف لي صاحب الكشك ؟ "

- " عينه اليسرى ممسوحة وكأن عليها سحابة ، عجوز بدرجة كبيرة ووجهه مليء بالتجاعيد ، عينه الوحيدة التي يرى بها ضعيفة كما قال لي "

يبدوا أن الرجل قد ضاقت عيناه وهو ينظر لـ (يوسف) بتمعن ، حتى قال له ببطء :

- " أعتقد أنك بذلك تصف عم (صبحي) ، ولكن المشكلة أنك لن تجده في سور الأزبكية الآن "

" ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

" لن تجده في سور الأزبكية الآن لأنه في مقبرته ، لقد توفي عم (صبحي) منذ ما يقارب السبعة عشر عاماً ، وكان يمتلك كشكاً بجانب هذا الكشك فعلاً ، ولكن يبدو أن أحدهم قد وصف لك المكان والشخص ، ماذا يحدث لك يا بني ؟ لماذا أنت مندهش هكذا ؟

اجلس يا بني فالإعياء يبدو عليك بشدة ، هل أنت من طرف أحد أقربائه أم ماذا ؟ "

***

*** فلمح بعينيه حجراً على أحد القبور مكتوب عليه المتوفى إلى رحمة الله محمد السالمي اللحاد أدخله الله فسيح جناته * فاندهش بن إسحاق كيف كان يكلمه محمد السالمي وهو من الأموات ***

***

بالتأكيد لن نستطيع وصف شعور (يوسف) من داخله ، فقد كان في حالة من التشتت الفكري ، لا يعرف ماذا يفعل ، هناك شجرة مكان الكشك ؟ ربما أخطأ المكان ، ولكن هذا الرجل عرف الوصف وقال أنه شخص ميت ، ميت !!! رباه .. لقد جننت

- " لا لست أحد أقربائه ، ولكن يبدو أنني أخطأت في وصف المكان ، أو وصف الرجل ، أو ربما كليهما ، شكراً لكما "

- "ولكنك قلت أنك اشتريت من صاحب الكشك شيئاً ؟"

- " لقد كنت أقصد رجلاً آخر بالتأكيد !! "

غادر (يوسف) الكشك وهو يشعر بالخواء العقلي ، عقله يأبى أن يفكر في شيء ، كيف يفكر عقله وهو لا يفهم شيئاً مما حدث ، المقعد الحديدي .. أوصاف الرجل .. الشجرة الموجودة مكان الكشك .. كل ذلك يؤدي لنتيجة غريبة .. إما

أن (يوسف) قد توهم كل شيء وإما أن الرجل الذي قابلـه منذ قليل كاذب !!!!!

الاحتمال الأول يمكنه التأكد من خطأه ، لأن صديقه كان معه ، ويمكنه أن يتأكد عندما يعود لمترله من وجود المخطوطة معه ، الاحتمال الثاني يبدو خاطئاً أيضاً ، لأن هناك شـجرة لا يمكن أن توجد هنا قبل سنين عديدة ، ويمكن أيضاً التأكد من صحة كلام الرجل ببعض الأسئلة البسيطة لأصـحاب بـاقي الأكشاك بالسور !!!!!

تباً لهذا العقل ، دائماً يحاول إثبات فـروض أخـرى غـير الحقيقة التي توصل لها منذ زمن ، عقله يحاول إثبات أي شـيء أخر غير الحقيقة التي بدأت تتشكل في ذهنه ، يبدو أن الحقائق التي تقابله قد ازدادت هذه الأيام

إنه منذ يومين قد حصل على مخطوطة نادرة ، وقد حـصل عليها من ...

من شخص ميت منذ سبعه عشر عاماً !!!

يبدو أنه قد اقترب كثيراً من مستشفى العباسية

***

كان أول ما فعله (يوسف) عنـد وصـوله لمترلـه هـو الإطمئنان على وجود المخطوطة ، فهو برغم كل هذا قد شك

لحظة في أنه يهلوس وأنه لم يشتر شـيئاً ولكنـه وجـدها ، لم وجدها ؟ لقد كان يتمنى ألا يجدها فإذا لم يكن قـد وجـدها كان يمكنه أن يفسر الموضوع تفسيراً سهلا .

هو مجنون ويتخيل أشياء ليست لها وجود

ولكن المشكلة أنه متأكد من أنه لا يهلوس !!!! إذن فبكل بساطة عليه أن يتقبل فكرة أنه يمتلك مخطوطة من الهـواء ، لا يعرف كيف ولا من من اشتراها .

فيلم رعب .. هذا فيلم رعب من تلك الأفلام التي تذخر بها السينما الأمريكية حينما يعرف البطل أن كل من حوله أموات، حينها يهب كالمجنون يقتل كل أبطال الفيلم وينقذ حبيبتـه .. حبيبته .!!

طالما أنه يمثل دور البطل في هذا الفيلم إذن مـن سـتكون الحبيبة التي سينقذها ؟

- " حبيبة "

كانت تلك العبارة من والدته وهي تنادي عليه من غرفـة الصالون اندهش للحظات ، حتى أتاه صوت أمه وهي تكمل عبارتها

- " حبيبة زميلتك في الكلية تريدك على الهاتف "

أه .. هذه هي البطلة التي عليه أن ينقذها إذن ،لم يمنع نفسه من الابتسام وهو يتجه إلى الصالون

- " ألو "

- " ما أخبارك يا (يوسف) ؟؟ "

- " الحمد لله ، كيف هي أحوالك ؟ "

- " الحمد لله ، لماذا لم تأت إلى الكلية اليوم ؟ "

- " كنت في كلية الآداب أنهي بعض الأشياء "

ثم نظر (يوسف) خلفه ليطمئن إلى أن والدته قد رحلت ، وعندما تأكد من عدم وجود أحد قال بصوت هامس

- " وحشتيني "

ردت عليه (حبيبة) بصوت هامس

- " وأنت أيضاً .. ماذا كنت تفعل في كلية الآداب ؟؟ "

- " موضوع يطول شرحه سأشرح لك كل شيء عندما نتقابل غداً ، هل ستأتين ؟ "

- " سأحاول ، أبي يعرف جدول المحاضرات جيداً ، وغداً لا توجد محاضرات "

- " حاولي بأي طريقة ، كأن تقولي أنك ذاهبـه لـشراء مذكرات أو كتاب جديد لدكتور .. أي شيء "

- " سأحاول ولكن لا أعدك ، لو نجحت سأتصل بك من هاتفي قبل خروجي من المترل بساعتين ، (يوسف) سأضطر لإغلاق الخط الآن قبل أن يصل والدي في أي لحظة "

- " سأنتظرك غداً عند مكاننا ، لا اله إلا الله "

" إن شاء الله .. محمد رسول الله "

أغلق (يوسف) السماعة ، وجلس على أحد المقاعد الـتي بجانبه وهو يفكر ، ذهنه صافي الآن ، لا توجد مـشاكل مـن شاكلة مخطوطة بن إسحاق ولا الأشخاص الأمـوات الـذين يعودون للحياة ، لقد نظفته هذه المكالمة من الداخل فهو يعشق (حبيبة) زميلته في الجامعة منذ أن رآها أول مرة ، لقد جذبه اسمها عندما نطقته إحدى صديقاتها وهي تنادي عليها ، فنظـر لصاحبة الاسم ليرى إحدى ملكات الجمال ، كانت ترتـدي الحجاب ، وقد زادها جمالاً ، تخيل أنك تقف أمام شيء يتوهج بالنور الأبيض الصافي ، هذا هو وجه (حبيبة)

تخيل أنك تسمع صوت العصافير الرقيقة وهي تغـني ــ إن كانت تغني ــ على الأشجار ، هذا هـو صـوت (حبيبـة)

عندما رآها أول مرة لم يمنع عينيه من النظر لها ، لم يمنع عينيه إلا عندما نظرت هي مصادفة لتلتقي عينه بعينيها ، التقت عيناهما لحظات حتى أدار (يوسف) وجهه خجلاً منها

ومن تلك اللحظة لم يترك (يوسف) لحظة إلا ولو حاول اختلاس النظر لعينيها ، وكانت تلاحظ هي ذلك مندهشة فهي تعرف أن زملائها في الكلية لا يخجلون من شيء .. ولو أراد أن يتعرف عليها لذهب إليها وتعرفا في لحظتها ، لكن أن يحاول أن ينظر فقط إلى عينيها ، فهذا ما جعلها هي الأخرى تنظر له بين الحين والأخرى ، حتى إذا التقت عيناهما ابتسما ابتسامة خفيفة وأدار كل منهما وجهه للناحية الأخرى .

ظل الحال هكذا يومين حتى ، لاحظ أحد أصدقاء (يوسف) إعجابه بها ، فتقرب إلى صديقتها حتى يتعرف (يوسف) على (حبيبة) ، وتم التعارف وانتقل الموضوع ببطء من مرحلة الصداقة التي استمرت لشهر إلى مرحلة الحب، في الحقيقة لم يكن (يوسف) يعرف كيف يعرف أنه يحب بحق ؟

لكنه أراح نفسه من عناء التفكير واعتبر نفسه يحبها بحق ، وقد سمع الكثير من أصدقائه وأقربائه عن الحب الأول ، وكيف أنه يفشل دائماً بلا سبب ، أما لو نجحت قصة أو قصتين من قصص الحب الأول فهذا هو الاستثناء الذي يؤكد القاعدة ، بل ويذكر له أصدقاؤه الأمثلة الكثيرة عن فلان الذي أحب

فلانة ولكنه لم يتزوجها وتزوج علانة وأنجب ولداً وهو يعيش سعيداً الآن .

كاد يموت من الغيظ وهو يسمع تلك الرواية من كل الناس باختلاف طرق روايتها ، وكأنهم يقولون حكـــم ونبـــوءات وكأن السعادة في نظرهم أن تتزوج أي فتاة وتنجب ولداً وتأتي كل يوم المترل وأنت تحمل كيلو (موز) وكيلـــو (جوافـــة) لتأكلا هانئين ، هذه هي السعادة في نظرهم ، سعادة خياليـــة مليئة بالملل والتعود ، جيل ممل ينتج جيلاً مملاً أخر .

فجأة توقع له الناس أن حبه الأول سيفشل مائه في المائـــه ، لأنها قاعدة معروفة ، يبدو أنهم لم يسمعوا عما يسمى القدر ، ومشيئة الله عز وجل ، أو عن النصيب .

وبرغم كل الحكايات التي ملئوا بها أذنه استمر حبـــه لـــــ (حبيبة) لثلاث سنوات ، إذن مـــا المـــشكلة ؟ إن الأغبيـــاء ليســـ ....

ما هذا الذي يسمعه ...؟

إنه آذان المغرب يتردد من المسجد القريب

قام ليتوضأ حتى يلحق صلاة المغرب بالمسجد ، أتم وضـــوئه ثم خرج من المترل وهو يدعو متجهاً للمسجد

***

٥ – قرابه قديمة

عاد (أحمد) صديق (يوسف) لمترله وهو يفكر بشدة في كلمات (يوسف) التي قالها عن تلك المخطوطة التي وجدها ، وهل يمكن أن تكون حقيقية وتكون معدة لاستدعاء أحد خدام الجن الذي سيهب الثروة لمن يستدعيه ؟

دخل (أحمد) الشقة وألقى السلام على والـــده ووالدتـــه الذين كانوا يجلسون على الأريكة يتابعون أحد المسلسلات التي تعرض في التليفزيون ، ثم دخل إلى غرفته ليبدل ملابسه

ولكنه توقف للحظة وقد حضرت في رأسه شخصية ما

خاله (عماد) يا لها من ذكريات ، لقد فكـــر في خالـــه (عماد) الذي انقطعت صله عائلته به منذ فترة طويلة

هنا جلس (أحمد) على فراشه وطفق يتذكر منذ أن كـــان صغير السن وخاله يجلس معه يحدثه عن أمور الجن والعفاريـــت والسحر والظواهر الغريبة ، كان يعيش معهم منذ ما يقرب من عشر سنوات في غرفة في نفس الشقة

ولكن حدثت أمور كثيرة جعلت العائلة تغـــضب عليـــه ، فخاله كان يمتلك في غرفته مكتبة كبير جداً تحتوي على كتب

تتكلم عن اللغات السامية واللغات المنقرضة والحضارات القديمة، ولكن الجزء الأكبر من تلك المكتبة كان يتركز على كتب السحر ، وتاريخ استخدام السحر ، لم تكن الكتب مكتوبة جميعها باللغة العربية ولكن كان هناك الكثير من الكتب التي كتبت باللغة الانجليزية والفرنسية ولغات أخرى لم يفهمها (أحمد) .

لقد كان يسمع والده يتكلم مع والدته عن أن خاله يمتلك قدرة رهيبة على قراءة لغات عديدة وأنه هو من ثقف نفسه بنفسه منذ صغره .

ولكن مع مرور الأيام بدأ يسمع التذمر من العائلة وهي تذكر خاله بكل سوء بسبب تجاربه وأبحاثه الغريبة لم يفهم معناها عندما كان صغيراً ، وفي ليلة ما عندما كان صغيراً سمع الجميع أصوات غريبة تصدر من غرفة خاله ، وعندما خرج الجميع من غرفهم ليفاجأوا جميعاً بأن أثاث الشقة يتحرك كله للأعلى وهناك ما يشبه الأنوار تخرج من غرفة خاله .

كان صغيراً لا يتذكر التفاصيل بالكامل لكنه يتذكر الصراخ والعويل ووالدته تجري هي وجدته في كل مكان ثم لا يتذكر شيئاً غير أن خاله رحل في اليوم التالي وبعد يومين جاء مرة أخرى ليجمع حاجياته وكتبه وملابسه ثم رحل لا يعلم أين

ومرت سنون طويلة يكاد لا يعلم عن خاله شيئاً إلا أنه كل مجموعة شهور يتلقى منه اتصالاً يسأل فيه عن أحوال العائلة

وعن أحواله ، فيما بعد علم أنه يقيم الآن في شقة بالهرم وهـــو لم يتزوج بعد على ما يبدو .

حتى وجهه هو لا يتذكره جيداً ، ولكنه كان يتضايق دائماً عندما كان يسأل عن خاله فتكون الإجابة دائماً في شكل أمر بعدم فتح موضوع خاله مرة أخرى .

ربما أخر ثلاث سنوات زاد الاتصال بعض الشيء بخاله من قبل أمه حيث كان الاتصال يتراوح بين كل أربعة أشـــهر إلى ستة أشهر ، وكان ذلك بعد أن ترك خاله رقم هاتف منزله إلى أمه

لما لا يستعين به في مسألة المخطوطة ..؟؟

***

انتهى (أحمد) من الغداء واستغل الفترة التي يدخل فيهـــا والده لغرفة نومه وتذهب أمه للمطبخ في أن يـــذهب بجانـــب الهاتف ويمسك بدفتر الأسماء الذي يسجل فيه الاسم والرقم

جميل الرقم هو (............) ، سجل (أحمد) الـــرقم على ذاكرة هاتفه المحمول ثم دخل إلى غرفته سريعاً .

في داخل الغرفة أعاد (أحمد) طلب الرقم مرة أخرى مـــن على هاتفه المحمول وانتظر حتى سمع الجرس

-" السلام عليكم "

– " وعليكم السلام ، من معي ؟ "

– " هل هذا منزل السيد / عماد محمد عبد الحميد ؟ "

– " نعم هو منزله ، تحت أمرك ..!! "

– " ألا تتذكرني يا خالي ، أنا (أحمد) إبن شقيقتك الوحيدة "

– " أحمد ...!!! لا يمكن ، كيف حالك أيها الولد الشقي ولماذا لم تسأل عني كل تلك الفترة ، خيبك الله "

– " هل تتذكر قديماً يا خالي عندما كنا نجلس لنتسامر وتحكي لي القصص والأساطير ، يا لها من أيام "

– " أنت الذي لا تسأل على خالك أيها الشيطان الصغير ، حدثني عن أحوالك "

– " ما رأيك أن ألتقي بك يا خالي لأنني أريد رؤيتك بشدة"

– " على الرحب والسعة هل تعلم عنوان شقتي ؟ "

– " لا "

– " إذن دعني أصفه لك ... "

حفظ (أحمد) الوصف جيداً ثم قال له أنه سيزوره في اليوم التالي

نحن الآن في منزل (يوسف) الذي يجلس على جهاز الكومبيوتر يفعل شيئاً ما ، أعتقد أنه يستخدم الماسح الضوئي ليدخل إلى جهاز الكومبيوتر نسخة من المخطوطة ، كان منشغلاً فيما يفعله حتى رن جرس هاتفه المحمول فنظر على شاشته ليرى اسم (أحمد) صديقه هو المتصل ، فرد عليه :

- " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته "

- " ما أخبارك يا (يوسف) ؟ "

- " الحمد لله ، خيراً ..!!! "

- " هناك شيء خطر بتفكيري سيساعدنا كثيراً في موضوع مخطوطتك التي تبحث عن أصلها "

- " انجدني "

- " لي قريب له خبرة كبيرة في اللغات القديمة وله قراءات كثيرة في السحر و التاريخ الأوربي القديم وتاريخ الحضارات القديمة .. ما رأيك أن نقوم بزيارته ونعرض عليه المخطوطة ليقول رأيه فيها فربما كان ذا فائدة لنا ؟ "

- " ومتى ظهر لك هذا القريب العبقري أيها التافه ؟؟ "

- " هو خالي وقد انقطعت صلته بعائلتي منذ سنوات طويلة"

-" لماذا ؟ "

- " هذا موضوع يطول شرحه ، ما رأيك أن نذهب لمقابلته غداً بعد انتهاء كليتنا ؟ "

- " موافق "

- " إذن متى نتقابل ؟ "

- " اممممممممممممممم ما رأيك في الساعة الثانية أمام مدرج (......) بكلية حقوق حتى أكون أنهيت محاضراتي وجميع مواعيدي ؟ "

- " جميل اتفقنا ، ولكن قبل أن أذهب إليك سأتصل بك لأتأكد أنك أنهيت محاضراتك "

انتهت المكالمة على هذا الاتفاق ثم انتبه بعد ذلك لما كان يفعله حتى ينتهي سريعاً من إدخال المخطوطة على جهاز الكومبيوتر الشخصي

جالت برأسه بعض الأفكار عن ميعاده غداً مع (أحمد) ، ما هذا ..؟!! لقد أعطى ميعاداً أيضاً لـ(حبيبة) ، ماذا سيفعل

وهنا انشغل تفكيره بأشياء أخرى بعيداً عن المخطوطة .

***

٦- الكابوس الغريب

النوم شيء مريح ، وخصوصاً إن كان الشخص النائم مرهق منذ الصباح الباكر ، لقد نام كالقتيل ، إن (يوسف) من الأشخاص الذين إذا ناموا كانوا كالحجر لا يتقلب ولا يتحرك ، بل تكاد تشك أنه لا يتنفس فكان غريباً الآن أن نرى ما نراه عليه وهو نائم !!!

هو الآن نائم على جانبه الأيسر ، يبدو كالحجر في تصلبه ، ولكنه فجأة ارتعش رعشة خفيفة !!! ثم تلتها رعشة ثانية ، ثم ثالثة ، لو اقتربنا الآن من عينيه ، وفتحناهما سنرى حدقتا عينيه تتقلبان في محجريهما بسرعة كبيرة نسبياً ، وهذا ما يدل على أنه الآن داخل حلم .

إذن هيا نقترب أكثر لنرى الحلم الذي يراوده الآن ؟

(يوسف) يقف أمام عرش كبير مطعم بالذهب ، وحول هذا الكرسي المطعم بالذهب يرى ناراً تشتعل في مكان وتخمد في مكان أخر ثم تخمد في المكان الذي اشتعلت فيه وتشتعل في مكان أخر ، فنظر حوله ليجد أنه يقف أمام العرش والماء يحيط به من جميع الجهات ، وظلام الليل حالك لا يبدده إلا النار

التي تأججت حول هذا الكرسي المذهب ، ثم سمع فجأة صوتاً يتردد من حوله قائلاً بصوت كالفحيح

((هليع يا من تسمعون في وادي القرنيم بحق سيدكم وبحق مقبلكم فكوا قيد بن ذاعات فكوا قيد بن ذاعات فكوا قيد بن ذاعات فيدعاهاط موسماعل بق حتى إذا أحضرتم أحرقكم المولى بحق وصيل مشموهوه شرطيائيل موهوقمي نوخيـــشما بهــــدار عخلي))

ظل الصوت يردد تلك الكلمات حتى انتهى منها وهنا سمع (يوسف) صوت احتكاك جسد معدني كأنك أتيت بسلاسل حديدية ورميتها على الأرض ، ولكن الصوت عال هذه المـــرة بلا شك .

المشكلة أن (يوسف) قد عرف أنه يحلم منذ بداية الحلـــم وحاول الاستيقاظ أكثر من مرة ، ولكنه مقيد في مكانه ، حتى وهو يعايش الحلم صار عقله يفكر ، أين سمع تلك الكلمات ؟؟ أين سمعتها من قبل ؟ يبدو لي أنني سمعتها أو قالها شخص لي

كان يفكر والحلم يسير في نطاقه الطبيعي ، وكأنه يشاهد فيلماً سينمائياً وله أرادته الخاصة حيث يمكنه الخروج مـــن دار السينما في أي لحظة ، حاول الخروج مـــن الحلـــم ولكـــن لا جدوى

وهنا رأى في الحلم أربعة رجال يمشون باتجـاه الكرسـي المذهب ، وهم مكبلوا الأيدي والأرجل بالسلاسل ويمـشون وكأنهم في حالة من التنويم المغناطيسي !!! ظل يتابعهم ببـصره حتى شاهدهم وهم يقفون أمام الكرسي ، ثم يعطونه وجوههم كان الأربعة أشخاص مخـتلفين في أشـكالهم ولكـن تجمـع وجوههم شيء واحد ، مسحة من الحزن ، نعم مـسحة مـن الحزن تغلف وجوههم كأنهم ارتكبوا إثماً أو أذنبوا ذنباً

كان يقول في نفسه " يا ترى متى ينتهي هـذا الكـابوس المرعب ؟ " ، ثم شم رائحة شياط تغمر أنفه ، يا تـرى هـذا الشياط قادم من مطبخهم وقد دخلت رائحته الحلم ؟

أم أن أنفه يمكنها أن تشم تأثيرات الحلـم ؟ في الحقيقـة لم يفكر كثيراً ، لأنه رأى من أين تأتي رائحة الشياط .

لقد رأى الأربعة المكبلين بالسلاسل وهم يعرقون بغزارة ثم يصعد دخان من أجسادهم ، لماذا يصعد الدخان من أجسادهم ؟ لأن وجوههم تذوب ، بالطبع كان مشهد مـثير للاشمئـزاز أكثر من كونه مرعباً وجوههم تسيح وتتحول لـسائل لـزج يتساقط على الأرض ببطء .

وهنا أحس (يوسف) بالحر ، إن الحـر هـذه الأيـام في الأحلام لا يطاق ، يجب أن يهتموا بتركيب مـبرد هـواء أو

مروحة في الأحلام ولكن الحر تحول لنار ، نار شديدة يشعر بها تحرق جلده .. لا لا ، إنه يذوب ، يذوب فهو يشعر بذلك .. إنه يفقد القدرة على التنفس ، يذوب ويفقـد القـدرة علـى التنفس ويحاول جاهداً أن يأخذ شهيقاً فلا يجد ، كأن رئتيـه مملوئتان بالهواء ولا تريدان المزيد، لا إنه يموت لقد قرأ قديماً أن الإنسان إذا مات داخل الحلم يموت في الواقع ، إنه يشعر بذلك الآن أنه يموت ، نفسه يختنق ، لا يقدر على سحبه ، جـسده يسيح ، هناك حر لا يطاق لاا

***

ااا

ماذا يحدث ؟ لقد استيقظ (يوسف) أخـيراً مـن ذلـك الكابوس ، ظل لحظات ينظر إلى سقف غرفته وهو يقنع عقلـه أنه بخير وأن الحلم انتهى منذ مدة ، وأنه حي يرزق ، كان عقله يرتعد بشدة من هذا الحلم كلما تذكر أي إحساس من الـذي راوده في الحلم

يا ترى هل سمع أحد من المنزل صراخه بعد أن استيقظ من الحلم ؟ بالطبع لا ، في الأفلام عندما يصرخ البطل يرى الجميع يهرعون وهم يدخلون من الباب ويهدئونه ، أما الآن يبدو أنه لو مات مذبوحاً فلن يشعر به أحد

وعندما بدأ يهدأ بدأت شفتاه تلقائياً تردد بعــض آيــات القران الكريم وبعض الأدعية بصوت خافض

وهنا اكتشف (يوسف) أن هناك بلل بسيط في فراشــه فكاد أن يبتسم وهو يقول في نفسه هل عادت أيام الطفولة مرة أخرى ؟ ولكنه فهم من أين يأتي هــذا البلــل ، إن جــسده بالكامل مليء بالعرق وكأنه يعمل في فرن !!!

عرق غزير ، ودرجة حرارة جسده مرتفعة كأنه مــصاب بالحمى ، هو لا يفهم من أين أتــى هــذا العــرق ولا هــذه السخونة، لكنه يعرف أنه رأى نفسه في هذا المشهد من قبل

في الحلم بالتأكيد !!! ، هناك تفسير جاهز بــالطبع لهــذا العرق وتلك السخونة ، لشدة حرارة الجو بالطبع ، ولانفعالــه الشديد في الحلم

نعم هذا تفسير مريح ، ولكنه تذكر أن الجزء الثــاني مــن تفسيره ـ الانفعال الشديد في الحلم ـ تفسير صحيح أما الجزء الأول من تفسيره ـ شدة الحرارة ـ ليس صحيحاً تماماً

ببساطة لأنه في شهر (يناير) أو بتفسير أخر هو في فــصل الشتاء وبالتحديد في أشد أوقاته برداً إن أردت رأيي ......!!!

مد (يوسف) يده اليمنى يتحسس مكتبه الــصغير الــذي يلتصق بفراشه ليبحث عن هاتفه المحمول حتى يرى الــساعة

الآن الثانية بعد منتصف الليل .. إذن عليه أن ينام الآن حـــتى يستيقظ مبكراً للذهاب للكلية

أخذ يردد بعض الأدعية مرة أخرى حتى هدأ قلبه قلـــيلاً ، وقال في نفسه " عندما أستيقظ من النوم يمكنني تذكر الحلم مرة أخرى ويمكنني التفكير فيه كما يحلو لي أما الآن فالحل اللذيـــذ هو النوم "

***

تيت تيت دن تيت تيت دن تيت دن تيت تيت دن تيـــت تيت دن دن دن تيت دن دن دن تيت

إنه صوت هاتف (يوسف) المحمول عندما يضبطه علـــى المنبه لكي يستيقظ ، وإن أردت الحقيقة فإن صوته مزعج فهو يزعج (يوسف) من النوم دائماً .

مد هذا الأخير يده يتحسس المكتب وهو مغمض العيـــنين باحثا بيده عن الهاتف ليغلقه كي يكمل نومه ، ولكنه تذكر أنه دائماً يترك الهاتف بعيداً عن متناول يده وهو نائم على فراشه ، وذلك مقلب يفعله في نفسه كل صباح ، حيث أنـــه عنـــدما يزعجه المنبه وهو نائم فإنه يغلقه ليكمل نومـــه ، ويتـــأخر في الغالب عن مدرسته ، فتعلم (يوســـف) أن يـــضع المنبـــه أو الهاتف بعيداً عن متناول يده وهو نائم لكي لا يغلقه ويتأخر

تيت تيت دن تيت تيت دن تيت دن تيت دن تيت تيت دن تيت
تيت دن دن دن تيت دن دن دن تيت دن دن دن تيت تيت
تيت

ظل الهاتف المحمول يطلق تلك النغمة المزعجة و(يوسف) يتأفف ، فأطلق سبة بذيئة وبدأ يفتح عينية ، ويفكر وصوت الهاتف المزعج يتردد

لما يذهب اليوم للكلية ؟ .. لم لا ينام اليوم ؟

وفجأة تذكر موعده مع (حبيبة) ثم موعده مع أحمد أزاح الأغطية عنه ، و يتجه ناحية الموبايل ليغلقه ثم دخل إلى دورة المياه لأداء الطقوس اليومية المعتادة التي تنتهي دائماً بخروجه إلى الصالة ، ثم أداء صلاه الصبح بغرفته

في ذلك الوقت استيقظت والدته وشقيقته الصغرى

وأين والده ؟ إنه في إحدى الدول الأوربية يعمل هناك منذ عشر سنوات ، ويعود كل عامين ليظل شهرين في مصر ثم يرحل ، لذلك كانت أحوال (يوسف) المادية متيسرة ، أما أمه فقد كانت تعمل في إحدى الأشغال الحكومية ويمكنك أن تعرف أنها تعمل لشغل وقتها ، لكي لا تموت من الملل وهي تجلس في المترل طوال النهار

أما أخته فكانت طالبة في المرحلة الثانوية ، ويبدو أنها من الطلاب الذين اتخذوا من التفوق منهجاً لهم كما يطلق عليها أصدقائها (الدحيحة)

نأتي مرة أخرى لـ (يوسف) وهو يصلي صلاه الصبح ، إنه يجبر نفسه على التركيز في الصلاة ، ربما شرد ذهنه لحظة أو غفل ولكنه يعود مرة أخرى ، ولكنه في وسط صلاته تـذكر الحلم الذي حلم به الليلة السابقة ، استعاذ بالله من همـزات الشياطين، حيث قد تعلم أن تلك من همـزات الـشيطان في الصلاة .

بعد انتهاء الصلاة نظر إلى الساعة ليجدها السابعة إلا الربع تقريباً ، سيجلس ينتظر (حبيبة) أن ترن على هاتفه حتى يعلم أنها ستكون موجودة في الكلية بعد ساعتين سيأتي الاتصال في خلال نصف ساعة ، لأن هذا هو موعدها دائماً ، بعدها إذا لم تتصل فذلك سيعني أنها لن تأتي اليوم ، وسيكون عليه أن ينتظر حتى يأتي موعد (أحمد)

وهنا تذكر مرة أخرى الحلم المزعج الذي راوده أمس ، يـا له من حلم !!!! (يوسف) من النوع الذي لا يتذكر أحلامه هو يقول دائماً أنه لا يحلم ، ولكن هذا خطأ شائع ، فبمجـرد نومك تبدأ أحلامك ، ولكن بعض الأشـخاص لا يتـذكرون أحلامهم فيعتقدون أنهم لا يحلمون و(يوسف) من هذه الفئة أي الذين لا يتذكرون أحلامهم ، وإذا تذكروها كانت أحلاماً من شاكلة القطط التي تطير مبتسمة ، أو يحلم بأنـه يـضرب شخصاً يكرهه ، أو أحلام المنبه (أي التي يدخل فيهـا مـؤثر خارجي كطرقات باب إلى الشخص النائم فيبني لـه العقـل حلماً).

ولكنه لم يحلم بهذا النوع من الأحلام قـــط ، أو إذا أردنـــا الدقة هو لم يحلم بهذا النوع من الكوابيس من قبل .. كـــابوس ثلاثي الأبعاد ، بل كابوس مليء بالأحاسيس السمعية والبصرية والجسدية ، لقد رأى عرشاً أو كرسياً كبيراً مطعم بالذهب في الحلم !!!! فهل يعني هذا أنه سيمسك حكم البلاد ؟ ضـــحك للفكرة في نفسه

ثم ماذا عن سماعه للكلمات وهي تردد ؟ ، تلك الكلمـــات هي ببساطة إحدى كلمات المخطوطة ، ولكن المشكلة أنـــه لم يحفظها فكيف يأتي بها عقله داخل الحلم ويدمجها بهذا المشهد ، هو كان سيقبل الفكرة لو كان يحفظ الكلمات جيداً ولكنه لم يقرأها إلا مرة واحدة ، بل لم يتبينـــها و لم يـــدقق فيهـــا ولا لمناها ، فكيف يحفظها ؟

أما هؤلاء الأربعة الذين ظهروا فربما يكون عقله قد ربـــط بينهم وبين الأربعة فقراء في المخطوطة ، نعم هذا هو الـــشيء الوحيد المقنع في هذا الموضوع لقد قـــرأ المخطوطـــة ثم تـــأثر بالأربعة فقراء ، وتكفل عقله بتخيل أشكالهم وإدمـــاجهم في الحلم ، ولكن لماذا تخيل أجسادهم وهي تذوب ؟ لا يمكـــن أن يكون عقله فعل ذلك من تلقاء نفسه لأن عقله لو كان تـــأثر بالأربعة فقراء الذين قرأ عنهم في المخطوطة ، فذلك يعـــني أن عقله سيجعله يتخيل أن ثلاثة فقط أجـــسادهم ســـتذوب لأن الرابع قد هرب حسب نص المخطوطة .

هناك ثغرة في ذلك الحلم لا يفهمها، هو يعرف أن هنـــاك الكثير من الجهلاء الذين ينسبون أي شيء إلى العقل ، ويبحثون لها عن اسم كبير غير مفهوم ، ولكنهم جهلاء ليس لجهلـــهم التعليمي ، بل ربما كانوا على درجة عالية من الثقافة ، ولكنهم على درجة كبيرة من الجهل ، لأنهم عندما تعترضـــهم ظـــاهرة غريبة يطلقون عليها اسماً قوياً يرعب من يسمعه وإما أن يطلقوا عليها خرافة ، وهم بذلك يشبهون الجهلاء الأميين فهؤلاء من ناحية ينسبون أي شيء غير مفهوم إلى العفاريت وأمنا الغولة ، وهؤلاء من الناحية الأخرى ينسبون كل شيء غير مفهـــوم إلى العلم أو يطلقون عليها خرافة ، والفريقان في الغالـــب علـــى خطأ .

ما يحير (يوسف) فعلاً مسألة العرق الغزيـــر والســـخونة الشديدة التي اعترت جسده عند استيقاظه من الحلم ، هـــو في الحلم يحترق ويذوب مثلهم ولكن كيف يخرج هذا الإحـــساس إلى الواقع الفعلي !! ثم لماذا يذوب مثلهم ؟ إن الموضوع بـــه حلقة مفقودة يعجز عقله عن الوصول إليها أو استنتاجاها

ربما لو سئل شـــ.......

" عيون القلب سهرانة مابتنامش ، لا أنا صاحية ولا نايمـــة مابالقدرش ، يبات الليل ، يبات سهران على رمـــشي ، وأنـــا رمشي ما داق النوم وهو عيونه تشبع نوم "

فزع (يوسف) من تردد تلك الأغنيـــة وهـــو يفكـــر في الكابوس ، وبعد لحظة تذكر أن تلك النغمة المخصصـــة لــــ (حبيبة) ، فإذا اتصلت به سمع تلك الأغنية .

يالها من رومانسية ، إذن فستكون (حبيبة) في الكلية بعد ساعتين من الآن كما اتفقا أمس ، ذهب لارتداء ملابسه كـــي لا يتأخر على ميعاد (حبيبه) وصديقه

***

٧- الجامعة مرة أخرى

هل تتذكرون أصدقاء (يوسف) ؟ (محمود إسماعيـــل) و (مصطفى أسامة) الطالبان بكلية الآداب قسم تاريخ

هما الآن يجلسان في إحدى قاعات المحاضرات بمبنى الكلية ، و أحد الأساتذة الكبار يلقي محاضرة ما عن شيء يبدو هام له ، لأنه كان مندمجاً في الشرح أما بالنسبة للطلاب فعلى وجوههم ارتسمت نظرة ناعسة وبعضهم قد نام منذ زمن بعيد لا يدري من الدنيا شيئاً .

بعض الطلاب قرروا أن يستفيد من الوقت الذي يشرح فيه الدكتور بأشياء أخرى ، قرائه الجريدة مـــثلاً ، أو التحـــدث بصوت هامس جداً عن أهم حوادث البلاد الأخيرة ،

وربما تجد طالباً هنا أو هناك يدون في كشكول محاضـــراته شيئاً ما قاله الدكتور أو ملاحظة هامة عن المادة ، ولكنهم غالباً ما يملون من كثرة الكتابة فيتركوها لأصحابها ويذهبون لممارسة أعمال أخرى كالتي حكينا عنها

ولكن يبدو أن (محمود) و (مصطفى) لم يملا بعد فمـــا زالا يتابعان الدكتور بشغف ، ويـــدونان وراءه الملاحظـــات وأهم ما يقوله حتى جاءت اللحظة التي أحس فيها الطلاب بأن

الدكتور سينهي محاضرته ، فتبدأ وجوه الطـــلاب العابـــسة في الابتسام ، والوجوه الناعسة في الإفاقة من نعاســـها ، ويعلـــو الصوت في قاعة المحاضرات بين الطلاب وقد أحسوا بالفرحـــة الغامرة لانتهاء المحاضرة .

نهض الدكتور من على مقعده وألقى السلام ، ثم اتجـــه إلى الباب هارباً من المذبحة الطلابية التي ستحدث حالاً أثناء اندفاع الطلاب على باب القاعة الصغير ، الذي لا يسع أكثر من اثنين من الطلاب علـــى الأكثـــر، ولكنـــك تـــرى (محمـــود) و (مصطفى) وهما يندفعان بين الطـــلاب بخفـــة ليـــصلا إلى الدكتور قبل أن يختفي من أمام أعينهم ، لقد خرج بالفعل من القاعة ، ولكنهما مازالا يهرولان للحاق به حتى وصلا إليه

- " د / يسري .... د / يسري "

- " نعم ؟ "

- " الحقيقة أننا لدينا بعض الأسئلة نرجوا الإجابة عليها إذا سمح وقت حضرتك الآن "

- " بالطبع وقتي يسمح ، ولكن هيا بنا إلى مكتبي قبـــل أن تدهسنا أقدام الطلاب أثناء خروجهم من الباب "

بالفعل ذهب الدكتور والطالبان يتبعانه ، حتى وصـــلا إلى قسم التاريخ ومكاتب أساتذته ، فدخل الدكتور أحد المكاتب التي يشترك بها حوالي ثلاثة أساتذة أخرين في القسم ، وجلـــس

على أحد المكاتب ثم دعا الطالبان للجلوس على مقعدين أمـــام المكتب

- " هل هناك شيء في محاضرة اليوم تريدان مناقشته بشيء من التوسع ؟ "

فرد (مصطفى) :

- " لا يا دكتور المحاضرة اليوم جميلة لا تحتاج لتوضـــيح ، ولكن نريد أن نسألك سؤالاً تاريخياً لا يتعلق بمنهجنا "

- " ما هو ؟ "

- " لقد قرأنا أثناء تصفحنا شبكة الانترنت على إحـــدى المنتديات عن شخصية رحاله اسمـــه (أحمـــد بـــن إســـحاق البغدادي) "

يبدو أن الاسم لم يكن له أي تأثير على الدكتور حين سمعه فأكمل (مصطفى) قائلاً :

" قرأنا أن هذا الشخص قد أتى لمصر ومر بمدينة غريبة رأى فيها أشياء غريبة تحدث ، كأنه رأى شخصاً مات منذ ســـنين يحدثه ويحكي له عن أسرار عن تلك البلدة وأن ابن إسحاق قد ألف كتابين أحدهما يسمى (كتر الرحلة) على ما أعتقـــد ، ولكن الناس قد أحرقوا كتبه ، ولم ينج منها غير حكاية واحدة من كتابة (كتر الرحلة) ، حكاية قد دونها أحـــد تلاميـــذه

و الذي نقلها من الكتاب قبل حرقه ، ولكن المخطوطة الـتي دونت بها الحكاية لم يراها العلماء حتى الآن

الحقيقة أننا نريد بشدة أن نعلم هل تلك القصة حقيقيـة أم لا؟، وهل هناك مخطوطة في الحقيقة أم لا ؟ "

- " هذه المعلومات لم أسمع بها من قبل !! ولكن ، مرا علي غداً في هذا المكتب الساعة الواحدة ظهراً لتعرفا الإجابة "

- " الحقيقة أننا عاجزان عن شكرك ونأسف لسؤالنا هـذا الذي سيأخذ من وقتك الثمين الكثير "

ضحك الدكتور قليلاً ثم قال :

- " لا تتأسف يا بني فربما أنا الذي أشكركما على أنكمـا ستضيفان لي معرفة أخرى على ما أعرفه ، فأنا متشوق للبحث عن معلومات تاريخية عن هذا الرحل "

شكراه مره أخرى ثم انصرفا من مكتبه

وهما يسيران في خارج القسم قال (محمود) :

- " ولكن لم وقع اختيارك على (د . يسري) بالذات ؟ ، و لم تختر أياً من أساتذة القسم الآخرين لسؤالهم ؟ "

- " أولاً : لأن تخـصص (د . يـسري) هـو التـاريخ الإسلامي .. ثانياً : لأنه الأكبر سناً والأكثر خـبرة في قـسم

التاريخ في مجال التاريخ الإسلامي ، والحكاية التي رواهـا لنـا (يوسف) تصنف تحت مسمى التاريخ الإسلامي لو كانت لها أسس أو جذور واقعية "

– " جميل ولقد قمنا بما هو مطلوب منا والآن هـل نبلـغ (يوسف) أم ننتظر إلى أن نعرف رأي الدكتور في موضـوع المخطوطة ؟ "

– " من رأيي أن ننتظر حتى نعرف غداً رأي الـدكتور ، ثم نذهب لـ (يوسف) أو نتصل به لنخبره بالنتيجة ، وليخبرنا هو أيضاً بنتيجة بحثه في سور الأزبكية عن الرجل الذي باعـه المخطوطة "

– " أنا أشعر بالجوع الشديد ، ماذا عنك ؟ "

– " أنا أيضاً ، إذن هيا بنا إلى الكافيتريا لنأكل شيئاً "

***

كانت علامات الذهول ترتسـم بوضـوح علـى وجـه (حبيبة) وهي تستمع إلى (يوسف) ، وهو يروي لها قـصته مع المخطوطة منذ أن اشتراها إلى أن علم أن بأن العجوز الذي باع له المخطوطة قد مات منذ سنين طويلة ، كانت تـصدق (يوسف) في كل كلمة يقولها .. هي لا تعرف لماذا تـصدقه دائماً !! لكنها تحبه حقاً وتشعر بالأمان معه دائماً ، ربما منـذ التقت عيناهما أول مرة قبل أن تعرفه ، وهي تشعر براحة وهي بجانبه ، تشعر بدفء وجوده بجانبها ، ربما لحظـات أحـست

بأنهم قد تسرعوا بالارتباط ، لكنه إذا ابتعد عنها أحست بأنها طفلة صغيرة قد تركتها أمها وحيدة ، ربما أرادت أن تبكي وتضرب الأرض بقدميها كالأطفال عندما يغيب عنها ، لكنها تتمالك نفسها .

بالرغم من أنه لا يوجد شيء يميز (يوسف) في مظهره أو في طباعه ، إلا أنها تشعر بقوة رهيبة عندما يكون بجانبها ، ضعيفة في البعد عنه قوية في القرب منه .

كانت قديماً تسخر من زميلاتها عندما يخبرونها بحكايات عن حبهم وعن سهر الليل ، والهيام وعد النجوم ، ولكنها كانت تضحك بحكمة ورزانة وتقول

" أنكن تخلقن هذه الأحاسيس والمشاعر لأنفسكن فالحب الأول هو خرافة ، انتظرن حتى يأتي لكن العريس المناسب ثم يأتي الحب بعد الزواج "

هي الآن تضحك من نفسها على كلامها القديم ، لقد تغير رأيها تماماً بعد أن أحبت (يوسف) ، ولكن ما الذي جذبها في (يوسف) ..؟

هي لا تعرف ولكنها تعتقد أنها أحبته لأنه لم يكن يميل لاستعراض مهاراته كلما رأته ، فكل الشباب التي كانت تتعرف عليهم ، كانوا يميلون لتغيير طبعاهم أمامها ، حتى

تعجب بهم ويبدأ هذا في إلقاء النكات ، وهذا في الرومانسية ، وهذا في سرد حكاياته مع الأشرار

إلا (يوسف) ، فطبيعته الهادئة كانت تغلب عليه دائماً بلا أي تكلف ، ولكن إعجابه بها كان يفضحه من نظرات عينيه ، عينيه التي طالما كانت تنظر لها في الخفاء وهي تتحدث مع صديقاتها وعندما تنظر إليه يحمر وجهه خجلاً ويرتبك ويحاول إشاحه وجهه سريعاً .

تلك العينان التي تشعان ذكاءاً رهيباً .. ربما تعتقد أن عينيه عيني ذئب فيهما خبث الدنيا ، ولكنها تعرف أن لون عينيه وتكوين حاجبيه هما ما يعطيان عنه هذا الانطباع الأول ، ولكنها بعد ذلك أحست أن تلك العينين هي ما تعطيانها الأمان والدفء

إن (حبيبة) تعرف جيداً بعد (يوسف) عن الشجار أو العنف

ولكنها تتذكر يوم أن كانا يسيران باتجاه المترو بجانب بعضهما ، ثم تعرض لهما شابان بالكلام البذيء ، لقد كانت تحث (يوسف) على السير وأن لا يستمع لهما ، وقد توقعت أن يبتعد (يوسف) ويكملان مسيرتهما ، ولكن الشابين أكملا تحرشهما بالسباب فرأت (يوسف) وهو يلتفت ببطء لهما ، وحدقتا عينيه تضيق ببطء ، وحاجباه يقتربان من بعضهما

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة تكاد تقسم أنها ابتسامة ذئب ـ لو كان الذئب يبتسم ـ يرى فريستين سيأكلهما بعد قليل

وفجأة رأت (يوسف) تحول من شيء وديع إلى إعصار !! هي لم تدر ما حدث من سرعته ، ولكنها رأت بعد أقل من دقيقة الشابين ، أحدهما أغشي عليه ، والأخر يمسكه (يوسف) ويكيل له لكمات سريعة إلى أنفه التي تحطمت تماماً ، والشاب قد انهار وهو يحاول التنفس من فمه والاعتذار

والشيء المضحك أنها رأت (يوسف) بكامل ملابسه ولم يصبه شيء ، أما الشابان فقد تقطعت ملابسهما وسالت الدماء من أجزاء جسديهما ، وقد كسر أنف أحدهما ، وكسرت يد الذي أغشي عليه .

إن الناس قد خلصت أحد الشابين من (يوسف) بأعجوبة حتى أنهم قاموا برفع (يوسف) من عليه لكي يبعدوه عنه ، بعد ذلك أكمل معها السير وكأن شيئاً لم يحدث ، في نفسها قد ارتعدت منه قليلاً هل هذا الشاب الهادئ يخفي تحت جلده وحشاً همجياً ؟

في داخلها كانت فرحة الدنيا تملأها ، هي كانت تريد حبيباً عادياً ولكنها وجدت حبيبها يمكن له أن يقتل عشرة إذا اقتضى الأمر لكي يدافع عنها .

بالطبع قد حكت تلك القصة لكل صديقاتها وزملائها بافتخار وكأنها هي التي ضربت الشابين لا (يوسف) ، إنها تشعر بالغبطة والسرور لأن الجميع يعرف أن هذا الوحش يحبها هي ، لم تكن بالطبع تحبه لأنه يجيد ضرب الناس ، ولكنها ازدادت فرحاً لأنها عرفت كم يمكن أن يضحي من أجلها ، وارتعدت فرائسها قليلاً وهي تتخيل إن هي أغضبته في يوم من الأيام بعد زواجهما ، ربما لن يكتفي بكسر ضلع واحد لها أو ربما فعل لها مثلما فعل بالشابين اللذين تعرضا لها ...!!!

نعود مرة أخرى للحكاية التي كان يرويها (يوسف) لـ (حبيبة) ، والتي بمجرد الانتهاء منها نظر لها ليرى تأثير القصة عليها .

- " هل تريد رأيي ؟ "

- " بالتأكيد "

- " وهل تعدني أنك ستأخذ به ؟ "

- " أعدك أنني سأعمل به إن اقتنعت به "

- " إذن تخلص من تلك المخطوطة ، ولتنه ذلك الموضوع ، فلن تستفيد منه شيئاً "

نظر (يوسف) إلى الأرض وهو يفكر جدياً في التخلص من المخطوطة أو على أقل تقدير أن يعطيها لشخص أخر يمكنه أن يتحمل مسؤوليتها .

ربما آن الأوان أن يتخلص منها

٨- رجل المخطوطة

بمجرد انتهاء (يوسف) من مقابلته مع (حبيبة) كانت الساعة قد قاربت على الثانية فتوجه بسرعة ليقف أمام المدرج الذي اتفق مع (أحمد) لمقابلته عنده ، وبعد دقائق تلقى اتصالا من (أحمد) ليتأكد من وجوده في الميعاد أمام المدرج ، ثم قابله وغادر الاثنان الجامعة .

في الطريق إلى شارع الهرم بدأ (أحمد) بالتحدث مع (يوسف) عن خاله :

- " لكن أنت لم تشرح لي ماذا حدث من خالك كي تقاطعه عائلتك ..؟؟ "

- " في الواقع لا أتذكر جيداً ، لكني أتذكر أني كنت طفلاً صغيراً وكان خالي (عماد) يعيش معنا في نفس الشقة حتى أنه كانت له غرفة خاصة به ، كان مرحاً وكثير الدعابة و يلعب معي كثيراً ويحكي لي أشياء عن أساطير لا أتذكرها لكنها مرعبة حتى أن والدتي كانت تنهره على أنه يحكي لي أشياء لا تناسب سني الصغير .. وأتذكر أيضاً غرفته التي كانت تحتل حوائطها مكتبة جدارية مليئة بكتب كثيرة جداً كنت أشاهد مظهرها وأنبهر بها ، وكثيراً ما كنت أسمع من جدتي أو أبي أن خالي هذا يمتلك عقلية عبقرية وأنه قد ثقف نفسه بنفسه ودرس

الكثير والكثير من كتب التاريخ والأساطير و ... والسحر ، وأعتقد أن هذا هو السبب الرئيسي لمشكلته مع العائلة "

ظلت حواس (يوسف) منتبهة لكلمات (أحمد) جيداً فأكمل هذا الأخير قائلاً :

- " سمعت كلمات عن أنه كان يجري تجارباً أو يجري اختبارات من كتبه لا أتذكرها ، لكنني عندما أتكلم مع أحد من العائلة عن الليلة التي حدثت فيها تلك الحادثة يتلاشى الحديث في تلك النقطة "

- " أي حادثة ..؟!! "

- " عندما كنت صغيراً وفي ليلة من الليالي سمع الجميع جلبة في الشقة فخرجنا من غرفنا لنجد أن أثاث الشقة يتحرك للأعلى ويهتز كأن أحداً ما يحركه ، وكانت غرفة خالي مغلقة ولكن يخرج من ثقب المفتاح ومن أسفل عتبة الباب نور غريب مشع ، هذا كل ما رأيته ولا أتذكر الباقي ، ومن هذا اليوم غادر خالي الشقة وانفصل عن العائلة "

- " إذن فنحن ذاهبون لدجال "

- " أعصابي .. أولاً : لا تنسى أنك تتكلم عن خالي أيها الحلنبور ، ثانياً : قلت لك أنه دارس للتاريخ واللغات القديمة فلا أعتقد أنه يعمل بمجال السحر "

- " هل تعتقد أنه أصبح نصاباً ؟؟ "

- " اخرس ولا تتكلم بكلمة كي لا أضطر إلى قتلك حتى أستريح من لسانك "

***

وقف (يوسف) و (أحمد) أمام العمارة التي وصفها له خاله في الهاتف بأحد الشوارع المتفرعة من شارع الهرم

عمارة بسيطة المظهر تتكون من خمسة طوابق وفي كل طابق تطل منة شرفة كبيرة تحتل دور كامل ، صعد الشابان حتى وصلا إلى الشقة التي تحتل الطابق الثالث ثم ضغط (أحمد) على جرس الباب لينفتح الباب ويظهر خلفه رجل في الثلاثين من عمره يرتدي قميصاً قد شمر أكمامه وسروالاً من الجينز ، و يمتلك جسداً رياضياً وذو وسامة واضحة .

بمجرد أن ظهر الرجل من خلف الباب نظر إلى الشابين ثم توقفت عينه عند (أحمد) وظل يتمعن فيه للحظات ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة بادله إياها (أحمد)

تقدم الرجل ليأخذ (أحمد) ويضمه لصدره وهو يقول :

- " كبرت وصرت ترتدي نظارة أيها المنحوس "

- " وأنت ازددت قوة ووسامة بعد كل تلك السنوات ، هل اكتشفت إكسير الحياة "

دخل الشابان للشقة بعد أن دعاهما الرجل الـذي يـدعى (عماد)

وانبهر الشابان بالشقة من الداخل ، فبالرغم من أن العمارة من الخارج بسيطة المظهر إلا أن الشقة من الداخل كانت قمـة في الإبداع ، أثاث موزع بيد لا تخرج إلا عن يـد مهنـدس ديكور ، ولوحات موزعة بطرق تدل على ذوق عال .

تتكون الشقة من صالة فسيحة تتراص بها بعـض التحـف واللوحات مع شكل مدفأة كديكور يعطي الصالة مظهراً شديد الأناقة .

كان الاستقبال شديد الحفاوة ودار الحوار بـين (أحمـد) و(عماد) عن العائلة وأخبارها وأخبار فلان وأخبـار عـلان وتيت تيت تيت .

وبعد دقائق ذهب (عماد) للمطبخ فنظر (يوسـف) إلى (أحمد) وقال له :

- " ألم أقل لك أنه أصبح نصاباً ، ما كل تلك الأناقة هـل خالك يمتلك مول تجاري ؟ "

- " لا يا سليط اللسان ، خالي ورث عن جدي الكثير "

خرج (عماد) من المطبخ وهو يحمل صينية عليها كوبـان من العصير وقطعتان (جاتو) على طبقين فضيين ، فأخـذاها

منه شاكرين ثم بدأ جزء من الحوار يدور حول حياة (عماد) بعد أن ترك المنزل :

- " بعد تلك الليلة ذهبت لأبحث عن شقة لأقيم فيهـــا .. بالطبع ميراثي هو عوني في تلك الأيام ، ظللت أبحث عن شقة حتى وجدت تلك الشقة فقمت بتأجيرها ووضعت باقي النقود التي ورثتها في شكل وديعة بنكية تدير علي أرباحاً جيدة كـــل مجموعة أشهر تكفيني لمعيشة رغدة ، ولكن لكي أضمن حياتي ومستقبلي قمت بافتتاح مكتباً للمحاماة فزاد دخلي والحمد لله وظللت كما أنا أدرس أي نوع يستهويني من العلوم واللغات ، وأنت ما أخبارك ؟ "

فرد أحمد قائلاً :

- " أنا الآن أدرس بكلية التجارة ، نـــسيت أن أعرفـــك بصديقي (يوسف) طالب بكلية الحقوق "

- " أهلاً يا (يوسف) "

- " أهلاً بك "

- " أنا أعلم يا خالي أن لك اهتمامات كبيرة بتاريخ الأمم الغابرة وأساطيرها ، والحقيقة أننا وقعنا في مشكلة غريبة بعض الشيء "

- " وما هي ؟؟؟؟ "

أخرج (يوسف) من جيب معطفه مجموعة وريقات مطوية بعناية ثم فردها لتظهر بوضوح لعين (أحمد) أن الـــورق هـــو ورق مطبوع عادي ، يبدوا أن (يوسف) قد طبعه عن طريق الكومبيوتر .

أعطى (يوسف) الأوراق لـــ(عماد) الذي أخذها ثم بدأ القراءة بها بهدوء

ظل (يوسف) محدقاً بوجه (عماد) وهو يقـــرأ الأوراق والذي لم تتبدل ملامحه عند القراءة نهائياً حتى أن (يوسف) قد اندهش من قدرته على إخفاء أي تعبيرات خلف ملامح وجهه الجامدة أثناء القراءة .

لقد كان (عماد) والحق يقال يقرأ بسرعة شـــديدة حـــتى انتهى من قراءة الأوراق ثم نظر إلى (أحمـــد) و (يوســـف) وقال بابتسامة خفيفة :

– " مممممممممممممم .. هذه هي مخطوطة مدينة الموتى للشيخ بن إسحاق ، كيف وصلت إليك تلك المخطوطة .... ؟ "

" !! "

***

قال (يوسف) وهو لم يتخلص بعد من ملامح الدهشة :

- " هل تعرف تلك المخطوطة ؟؟؟ "

ابتسم (عماد) وقال :

- " قرأت عنها في بعض كتبي منذ سنوات ، إن الذي أقبض عليه بين أصابعي الآن هي صورة مسح ضوئي لمخطوطة قديمة فمن أين حصلت على تلك الصورة ؟ "

نظر (يوسف) و (أحمد) لبعضهما ، ثم بدأ (يوسف) يروي قصة عثوره على المخطوطة في سور الأزبكية والمعلومات التي جمعها من على شبكة الانترنت ثم لقائه بأصدقائه ، بالطبع حذف موضوع الرجل الميت الذي باعه المخطوطة

عندما انتهى (يوسف) من الكلام أشار (عماد) لهما أن يتبعاه لإحدى الغرف في شقته ، وأثناء اتجاههم قال (أحمد) :

- " هل تدرس السحر يا خالي "

توقف (عماد) للحظة وارتسمت على شفتيه شبح ابتسامة ثم أكمل السير وهو يقول :

- " أنا أعلم أن ذكرى تلك الليلة مازالت في عقلك وأنك تريد أن تعرف ماذا كنت أفعل تلك الليلة ، ولكني لكي أريح قلبك سأطلعك على المجالات التي حاولت الدراسة بها "

كان (عماد) قد فتح في تلك اللحظة إحـــدى الغـــرف وأضاء مصباحها فتبعه (يوسف) و (أحمـــد) إلى الـــداخل ليفاجئنا بشكل الغرفة من الداخل .

الأرضية مفروشة بسجادة فاخرة ، لا أعلم هل هي من نوع السجاد العجمي الذي أسمع عنه أم أنه نوع آخـــر ، في أخـــر الغرفة مكتب أنيق أمامه مقعدان والمكتب نفسه مليء بزخارف كثيرة ، والجالس خلف المكتب يمكنه أن يعدل وضـــع المقعـــد ليتجه ناحية اليسار قليلاً لكي يكون مواجهاً للكومبيوتر الذي يحتل الركن الأيسر من المكتب .

هناك لوحة كبيرة نسبياً معلقة خلف الجالس على المكتـــب تمثل جماجم بشرية ذات قرون مختلطة بالدماء في خلفيـــة مـــن الظلال تضيف الكثير من القتامة على اللوحة .

هناك أيضاً (انترية) ومقعدان يحتلان جـــزء مـــن الغرفـــة تتناسق ألوانهما مع لون المكتب مع لون الـــسجادة في أناقـــة شديدة

أما الجدران فقد كانت مهيبة بالفعل .. فعلى كل جـــدار هناك مكتبة ضخمة تحتل الجدار بكامله ، وفي أحد الجـــدران يخرج من وسط الكتب جهاز تليفزيون وأسفله مشغل سي دي فيديو

كمية كتب رهيبة تتراص في تنظيم شديد حيث أن هناك ورقة مطبوعة على كل مجموعة من الأرفف تبين نوعية الكتب التي تحتلها تلك الأرفف .

بدأ (يوسف) يحرك عينيه ليقرأ العبارات التي كتبت على كل ورقة :

(فيزياء _ مباحث الوجود _ تاريخ إسلامي _ مقارنة أديان _ تاريخ هلينستي _ رياضيات _ سحر _ علم نفس _ كيمياء _ فقه _ سيرة _ مصريات.... إلخ إلخ) هذا هي بعض العبارات التي كتبت بالعربية لأن هناك عبارات كتبت بالانجليزية والفرنسية ولغات أخرى لم يفهم (يوسف) كيف يقرأها .

كان مظهر الغرفة يجبر عينيك على أن تتفحصها شبراً شبراً بلا أي ملل .

هنا توجه عماد إلى بعض الأرفف العربية والأجنبية وظل يبحث بإصبعه عن شيء ما بين الكتب وهو يقول :

- " عندما كنت طفلاً كنت أمتلك القدرة على القراءة مبكراً جداً وعند وصولي للثالثة عشرة من عمري استهواني كل شيء غريب وكل حكاية أو أسطورة مرعبة فكنت أشتري بمصروفي _ بعد تجميعه كل شهر _ كتباً تتحدث عن الأشياء

الغربية وكانت تلك الكتب دائماً كنت أشتريها من على الرصيف لقلة ثمنها ، واصطدمت في ذلك الوقت بكتاب عن السحر وتحضير الجن ، وبدأت في محاولة تحليل العبارات والكلمات الغير مفهومة التي يتم بها استدعاء الأرواح في ذلك الكتاب فخطر في عقلي في ذلك الوقت أنه ربما كانت هناك كتب بلغات أخرى توصلني إلى تحليل تلك العبارات ، وقررت أن أتعلم الإنجليزية لكي تزيد قدرتي على قراءة كتب باللغة الإنجليزية

وعندما طلبت من والدي رحمه الله أن يلحقني بأحد مراكز تعلم اللغة الإنجليزية وافق على الفور وشجعني على ذلك ، وأظهرت تفوقاً غير عادي حيث أنني كنت أتردد على بعض المكتبات العامة التي تحتوي على كتب بالإنجليزية وفي يدي القاموس لكي أنقل موهبتي فيها ، وفي سن الرابعة عشرة كنت أقرأ وأتحدث بطريقة جيدة للغة الإنجليزية ، فأحسست أنني أريد المزيد فالتحقت بقسم تعليم اللغة الفرنسية التي أحببتها وأتقنت القراءة بها في مدة لا تزيد عن عام ونصف ..

وهنا زاد هوسي باللغات والقراءة في الكتب باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية فقررت زيادة حصيلتي فدرست اللغة الألمانية والإيطالية وكنت عضواً دائماً في أكثر من ملحق ثقافي بأكثر من سفارة وبالطبع بسبب انشغالي التام بدراسة اللغات والقراءة بها لم أحظ بمجموع كبير في الثانوية العامة فالتحقت

بكلية الحقوق انتساب موجه وكان هذا بالنسبة لي قمة المتعـة لأنه حقق لي إمكانية عدم الحضور الدائم والتفرغ لدراسـاتي الأخرى .

من هنا بدأت بالتردد على جميع مكتبات الجامعات المصرية والقراءة في كل المجالات التي لا تتخيلها من كيمياء إلى فيزيـاء إلى مقارنة أديان وكنت أفرغ جميع المعلومات التي أحتاجها في هيئة أبحاث على ورق أحتفظ بها لحين احتياجي إليها

وفي السنة الثالثة من كلية الحقوق كنت أتقـن التحـدث والقراءة بالإنجليزية والفرنسية والفارسية والألمانية والإيطالية و العبرية ، وأجيد القراءة بالأوردية والروسية واللاتينية والسريانية وتحليل جيد للرموز الهيروغليفية والقبطية ..

ساعدني على ذلك أن والدي رحمه الله لم يبخل علي قـط بالمال لكي أدرس ما أشاء بالرغم من اعتقاده أنني أدرس اللغـة الإنجليزية والفرنسية فقط ، المهم كنت أبحث في كل وقت عن جوهرة بين الرمال تجعلني متميزا عن الجميع ، هذا ما كنـت أبحث عنه .

وهنا تذكرت السبب الذي جعلني أبدأ بدراسة كل تلـك اللغات والعلوم الأخرى ، تذكرت كتاب السـحر الـذي لم استطع فك رموزه عندما كنت صغيراً فقررت أن أركز جـل مجهودي على دراسة كل ما يتعلق بالسحر والجـان والأرواح

وبدأت بتتبع كل ما كتب عن الخوارق في كـــل اللغـــات وفي جميع المكتبات العامة والخاصة .

فوجدت نفسي في خلال عامين أصل إلى حقـــائق غريبـــة حول تلك الأشياء الغريبة ، وبدأت في تحليل كل ما وقع تحت يدي لأميز جيداً بين ما هو أسطوري وما هو حقيقي ، وبدأت بالتجارب إلى أن جاء هذا اليوم الذي حدثت فيه تلك الحادثة بمنزلكم يا (أحمد) وفضلت الابتعاد عنكم لكي لا أضـــركم بأبحاثي وللمعاملة التي تعرضت لها من العائلة بسبب ما حدث "

كانت أخر عبارة قالها (عماد) وهو يمسك بـــين يديـــه مجموعة من الكتب ثلاثة كتـــب باللغـــة العربيـــة وكتـــاب بالفرنسية .

وضعها كلها على مكتبه ثم دعا (يوســـف) و (أحمـــد) للجلوس على المقعدين أمام المكتب وجلس هو خلفه قائلاً :

- " بالنسبة لموضوع المخطوطة هذا فهو موضوع شـــائك جداً وأنا لا أعلم عنه إلا القليل جداً وذلك لأنه لم يكتب عنـــه إلا القليل جداً جداً .. فهناك رجل فرنسي يـــدعى (ميـــشيل أماديوس) وهو أحد علماء الآثار الفرنسيين الذين تواجدوا في مصر في الفترة من (١٨٢٢ - ١٨٣٥) حيث أنه كان علـــى رأس إحدى البعثات التي استقطبها (محمد علـــي باشـــا) إلى

مصر عندما أراد أن يحسن كفاءة الموظفين المصريين ، وكـــان (ميشيل) مرافقاً للبعثة التي حضرت إلى مصر بناء على أوامر من الحكومة الفرنسية لدراسة بعض الأشياء التي طلبت منـــه في فرنسا بدون علم (محمد علي) ، وقد عادت البعثـــة ولكـــن (ميشيل أماديوس) قرر البقاء فترة أطول فظل عشرة أعـــوام يعيش في مصر بعد رحيل أفراد بعثته .

ثم بعد عودته كتب تقريراً عن الأشياء التي درسها بـــأوامر الحكومة الفرنسية ثم دون كتابه الذي وصف فيه حياته في مصر وكيفية تنقله بين البلدان في صـــعيد مـــصر لدراســـة المعابـــد الفرعونية ، كنت أقرأ هذا الكتاب لإحتواءه على تحليل قـــيم لبعض العادات القديمة في جنوب مصر مع وصف رائع لكـــثير من المعابد المصرية ولكن .... "

فتح (عماد) الكتاب المكتوب بالفرنسية وظـــل يقلـــب صفحاته قرابة الثلاث دقائق حتى وقف عند صفحة بعينها وبدأ يجري بعينيه على كلماتها ويترجمها بسهولة :

- " يقول (ميشيل) في تلك الصفحة أنه كان له أصـــدقاء من الجنوب يجلس معهم ليلاً ليتسامروا ويتحـــدثوا في بعـــض الأمور ، وفي إحدى الليالي قال صديق له ويدعى (حسن) أنه يحتفظ بشيء قيم جداً أمنه إياه رجل مصري كي يحفظهـــا في

منزله ، وعندما استفسر (ميشيل) عن تلك الأمانة فقال لـه (حسن) أنها مجموعة خيشية مدبوغة عليها قصة لأحد الرجال ، فأحضر (حسن) تلك المجموعة وقرأها علـى (ميـشيل) الذي يحكي ويقول ((لا أتذكر جيداً الكلمات الـتي كتبـت على تلك المجموعة الخيشية ولكني أتذكر أنها تخص رجل يدعى (أحمد بن إسحاق) يبدو أنه قد ذهب من الصعيد إلى القاهرة ولكنه قابل قرية مصرية في رحلته لم يجد فيها من أحياء وقابـل روح رجل مات منذ سنوات أخبرته بأسرار اسـتدعاء الأرواح لتحكم العالم وأعطته أوراقاً كتـب عليهـا طريقـة ونـص الاستدعاء ، وقد حاولت أن أقنع (حسن) بأن يعطيني تلـك المجموعة ولكنه أبى حتى أن أنقل نصها لأدرسه ، وقد قـال لي أنها أمانة من رجل أعطاها له لن يقدر على خيانتها)) ، هـذا هو ما كتبة (ميشيل) في تلك القطعة من صفحة ٢٣٨ مـن كتابه "

ثم نظر (عماد) إلى (يوسف) وقال :

- " لا أخفي عليك أنني قد قرأت تلك الكلمـات وقـد علمت أن هناك جزءاً صحيحاً في كلمات الرجل وهناك جزءاً قد جاء من ثقافته وخصوصاً في موضوع الأرواح والـسيطرة على العالم لأن تلك المعتقدات من الاستحالة أن توجد في العقل الإسلامي في ذلك الوقت ولكنني أردت التأكـد فعلمـت أن

هناك عالماً عربياً لم يهتم به التاريخ كثيراً لضياع كتبه بالكامل تقريباً وهذا العالم يدعى (أحمد بن إسحاق البغدادي) .. وانتهى بحثي عند هذا الحد وقد قاربت على نسيان هذا الموضوع نهائياً ، حتى صادفني كتاب للكاتب (أحمد مجدي عبد اللطيف) اسمه (الأساطير بين العقل العربي والغربي) طبع في عام ١٩٩٣ وهو كتاب جميل وشيق يتحدث عن أساطير العرب القديمة كالغول و الجن ، والأساطير الغربية كالأساطير اليونانية وتأثير تلك الأساطير على معتقدات الشعوب وعقولها في العصر الحديث ، وفي إحدى فصول الكتاب خصص ثلاثة صفحات يتكلم فيها عن الرحالة (أحمد بن إسحاق البغدادي) وحياته وحكايته مع مدينة الموتى التي قابلها في رحلته إلى القاهرة من صعيد مصر وكيف أنه أبلغ الحكومة المصرية ولكن الحكومة المصرية نفت كل شيء عن وجود قرية في المنطقة التي حددها (بن إسحاق) لهم .. وكانت نهاية بن إسحاق هي اختفائه وحرق كتبه ، وقد ذكر الكاتب في الكتاب عن تلك الأسطورة أن هناك حلقة مفقودة في تلك الأسطورة لم يقدر على تحديدها لأن العقل العربي قديماً لم يقدر على اختلاق أساطير تقوم على وجود أموات يتحدثون أو يقومون بعمل أي شيء في الحياة المادية ، ولكن وجود شخصية بن إسحاق حقيقية وكتابه حقيقياً الذي تحدث عنه عن المدينة الغريبة ، لكن هل تناقل الناس تلك الحكاية وحرفوا بها لتصلنا بهذا الشكل ؟؟ .. وعند قراءتي لذلك الكتاب قررت أن أبحث

بجدية أكثر عن تلك الحكاية وكنت محظوظاً حيث أن مؤلف الكتاب كان قد كتب المراجع التي أخذ منها هذه الأساطير فرجعت إلى المراجع العربية وكانت ستة مراجع فوجدت ضالتي في مرجعين منها "

أعطى (عماد) الكتاب الذي يتحدث عنه إلى (أحمد) ليتصفحاه ، ثم أمسك بالكتابين الأخرين وقال :

- " وجدت المرجع الأول هو كتاب (صف الرواة وأحاديثهم) لعبد الله بن جندب بن نافع ، وقد حققه الباحث العربي (د . كرم محمد القحطاني) ، ووجدت في هذا الكتاب الذي يتعدى الـ ٥٠٠ صفحة ذكر في أحد الأبواب أخبار (بن إسحاق) مأخوذة من مجموعة من الرواة ، ويقول المؤلف أن (بن إسحاق) كان له الكثير من التلاميذ وخاصة في فترة إقامته بمصر حيث كانت له حلقة علم بالجامع الأزهر وله تلاميذه ، ولكن بعد أن انتشر كتابه بين تلاميذه من خلال تلميذه المقرب (عبد الرحمن بن إبراهيم) الناسخ المشهور لكتابي (إبن إسحاق) تم اتهامه بالزندقة وهي تهمة رهيبة إن أردت رأيي ، فهي تدل على أكثر من صفة تصل إلى وصف الشخص بادعاء الإسلام ولكنه كافر من داخله ويحاول أن يفسد في الأرض ، وبدأ الأمر بإحراق كتبه ثم اختفى بن إسحاق تماماً وظل تلميذه (عبد الرحمن بن إبراهيم) الذي قيل

أنه سجل مقتطفات هامة من كتب شيخه (إبن إســحاق) لم يبق منها سوى مجموعات قليلة لم يتم وصول أخبار لنا عنها إلا من خلال رجل من الصعيد قال بأنه رأى مخطوطة تحكي عــن مدينة كل من بها أموات منذ سنوات طويلة وأن المخطوطة مع رجل من أهل الجنوب يحفظها في مترله كأمانة يتوارثهــا هــو وأهله حتى يأتي الرجل الذي ائتمنه عليها ، أما (عبد الــرحمن بن إبراهيم) فقد اختفى تماماً بلا أثر وقيل أنهم وجدوا جثتــه بعد سنوات وقيل أنه لم يعثر له على قبر حتى الآن ..!!!

وذكر أيضاً عبد الله في كتابه بعد الروايات التي رويت عن المخطوطة التي يخبئها الرجل الجنوبي فمنها رواية تقول أن (إبن إسحاق) قد دخل مدينة للجن وقابل أحد أفرادها ، وروايــة أخرى تقول أن (إبن إسحاق) دخل القرية المصرية التي تدعى (أولاد العشاب) والتي اختفت منذ سنوات في القرن الــسابع عشر ومات أهلها إثر وباء

وهناك راوي قال بأن هناك رجلاً حكى له أن هناك ساحراً فارسياً قد حضر لمصر واختار أربعة مصريين ليقدمهم ليقــوم بعهد مع الجن ليجعلهم أغنياء ، وعند دخول (إبن إســحاق) للمدينة قابله أحد الرجال الذين ماتوا وأهداه الطريقــة الــتي يستدعي بها الجن ليجعله هو أيضاً من الأغنياء "

أعتقد أن (يوسف) و (أحمد) قد سال لعابهم خارج أفواههم من الكلمات التي يتلفظ بها (عماد) الذي سكت قليلاً ليبتلع ريقه ثم أخذ بعدها كتاباً من أمامه وقال :

- " وأخيراً هذا الكتاب الذي يعتبر بحث لنيل درجة الدكتوراه عن الأساطير ولكن هذا الكتاب ذكر فيه الباحث شيئاً شديد الغرابة .."

- " ما هو ؟!!! "

- " لقد افترض صاحب هذا البحث وجود تلك المدينة فعلاً واستعان ببعض الخرائط في مجموعة من الحقب التاريخية قبل القرن الثامن عشر بمصر ، وقد قارن بين تلك الخرائط وبين الخرائط الحديثة وبدأ بتوقع مكان القرية القديم التي وجدت برغم صعوبة تحديد أماكن القرى المصرية قبل القرن الثامن عشر وخصوصاً لأن تلك الفترة كانت مليئة بالثورات كثورة محمد أبو الدهب والصراعات الداخلية بين الولاة والسلطان العثماني .. كما ترى يا (يوسف) أن هذا الباحث قد أخذ تلك الأسطورة على محمل الجد وبحث وقرر أنه هناك مدينة بالفعل في هذا المكان وهناك احتمال حقيقي لفناء تلك المدينة أو القرية بسبب انتشار سريع لوباء (يعتقد الباحث أنه الكوليرا) ، وتم إهمال القرية من الحكومة المصرية خوفاً من الوباء حتى زاراها (إبن إسحاق) وحكى عنها في كتابه ثم

نقلها (عبد الرحمن بن إبراهيم) في أوراقه بكنية مدينة المـــوتى حتى انقطعت أخباره وانقطعت معه أخبار المخطوطة التي كتبها

*　　　*　　　*

– " إذن هذه المخطوطة حقيقة ؟ "

قالها (أحمد) وهو ينظر إلى خاله مستفسراً فرد (عمـــاد) قائلاً :

– " نعم ولكن ربما كان نصاً مزوراً ، سأحكم عليها عندما أرى المخطوطة الحقيقية "

– " أنتظر هل تعتقد من قراءتك لها أنها مزيفة ؟ "

فكر (عماد) ملياً وهو مطرق الرأس ثم نظـــر إلى عـــيني (يوسف) وقال :

– " بل أعتقد أنها حقيقية مائة بالمائة "

أخذ (عماد) الورق مرة أخرى من (يوسف) ثم فـــضة وبدأ بالكلام :

– " هناك شيء يحيرني في تلك الكلمات ، فهي تحتوي على بعض أسماء ملوك الجان بالنطق السرياني كما أن .. "

– " ما هي تلك اللغة السريانية ؟ "

– " هي لغة قديمة تعرف باللغة السامية نسبة لسام بن نوح ، وتعتبر تلك اللغة من أهم اللغات التي يجب تعلمها من جانب

أي باحث ، فهناك مخطوطات كثيرة وصلت إلينا وهي مكتوبة باللغة السريانية ، فعندك مثلاً النبي دانيال الذي كتب بهذه اللغة الكثير من نبؤاته ، والذي تعلمها أثناء وجودة كأسير في بابل ، وكانت تلك هي اللغة الدارجة في أورشليم في زمن (عيسى) عليه السلام وظلت موجودة بعده لأكثر من سبعة قرون

ويبلغ عدد حروفها اثنين وعشرين حرفاً كلها ساكنة لـــيس لها حروف علة كلغتنا العربية "

ثم أكمل (عماد) حديثة قائلاً :

- " تلك الأسماء هي نطق لأسماء بعض ملوك الجان بعضها سرياني والأخر نطق عربي ولا أعلم سبب الاختلاف ، هنـــاك كلمات أعتقد أنني لا أفهمها ولكني أفهم أن لإجتماع حروفها شيء يثير الرهبة في نفسي فهـــو لـــيس اجتمـــاع عـــشوائي للحروف !!!

الكلمات العربية تشير لأكثر من شيء لا يمكنني تحديـــدها يمكنك أن تتركني مع ذلك الورق لأستعين ببعض المراجع ربمـــا توصلت لشيء هام ، ولنظل على اتصال ببعضنا البعض "

هنا قال (أحمد) لخاله وهو يبتسم :

- " إذن فأنت تخبرنا بكياسة أن الزيارة قد انتهت "

هب (عماد) من على مقعده غاضباً وهو يلوح في وجه (أحمد) أن ما يقوله ليس صحيحاً وأن تلك الكلمات لا يجب أن تقال ، فضحك (أحمد) وهو يخبر خاله أنه يضحك معه لا أكثر

- " أستاذ / عماد قلت أنك قرأت كثيراً عن السحر فهل هو موجود في رأيك ؟؟ "

نظر (عماد) إلى (يوسف) ثم قال :

- " السحر موجود فعلا ولن آتي أنا لأقول لك أنه خرافة ، فلو كان كذلك لما كان له هذا التاريخ الطويل منذ آلاف السنين ، وبالرغم من تعدد البلاد التي مورس فيها السحر إلا أن هناك مبادئاً واحدة تجمعها كلها ... "

- " كيف ؟ "

- " تشكل الثقافات مفهوم الشخص الذي يعيش داخل بيئته فإذا أتيت بأعرابي وجعلته يصف لك كائناً أسطورياً من مخيلته لوصف لك وحشاً كبيراً غير محدد الملامح يمكنه أن يأكل لحم البشر ، وإذا أتيت برجل أوربي لوصف لك وحشاً ضخماً كبيراً ذا أنياب يأكل أيضاً لحم البشر التائهين ، إذن هناك أشياء مشتركة في الثقافات وموحدة مع اختلاف وصفها بين حضارة وأخرى فترى حضارة تطلق على الساحر أنه يقوم بعمل عقد مع الشيطان وترى الثقافة العربية تقول أن الساحر يقوم بعمل عهد مع الجن وثقافة أخرى تقول لك أن الوسيط يستعين

بالأرواح لخدمته ..!!!! ألا تلاحظ تشابه الفكر في كـــل مـــا سبق ، إذن هناك نواة تراها مع كل الثقافات ولكن تختلف من بيئة لأخرى "

- " وكيف كان السحر قديماً ؟؟ "

- " لا أعرف لكن عندما يذكر أحدهم كلمة السحر يبادر إلى ذهنك مشهد امرأة شمطاء تطير في الهـــواء علـــى مكنـــسة وترتدي قبعة مضحكة وتلك صورة سخيفة بالطبع .. فقـــديماً كانت محاكم التفتيش تستعين بكتاب (مطرقة الـــساحرات) كي يحكاموا أي ساحر ويقضوا عليه "

- " تفتيش ؟ مطرقة ..؟"

- " كتـــاب (مطرقـــة الـــساحرات) أو (مـــاليوس ميلفيكاروم) كتب باللاتينية وقد كتب على يد اثـــنين مـــن رهبان الدومنيكان فتم نشره في القرون الوســـطى مـــن قبـــل الكنيسة الكاثوليكية وهو يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية :

الجزء الأول وهو يعالج ويوضح التعامل مع حدوث السحر من خلال الثلاثية المعروفة (الساحر والشيطان ومشيئة الرب)

الجزء الثاني وهو يوضح بالتفصيل كيف يقوم الساحر بكتابة السحر وعمله وشروطه وكيفية إبطاله ومواجهته

الجزء الثالث وهو في رأيي أشنع جزء ممكن حيث يتم فيـــه الحث من قبل الكنيسة للمسيحي المؤمن بكيفية تقديم كل مـــن

يشتبه به في ممارسة السحر إلى محاكم التفتيش بدون أي دليل مادي وهذا الجزء الأخير الذي كان سبب رهيب من أسباب حرق ألاف الضحايا الأبرياء لمجرد الاشتباه فقط بلا وجود دليل ...

أما عن محاكم التفتيش ففي العصور الوسطى تم إنشائها في أوائل القرن الثالث عشر رسمياً عن طريق البابا (جريجوار) ومهمتها محاربه (الهرطقة) أي من يخرج عن التقاليد المسيحية بأي شكل من الأشكال ، وقد أعدمت تلك المحاكم الكثيرين من الفلاسفة والكتاب والعلماء بتهمة الهرطقه ، وكانت لهم أساليب لا أعتقد أنك ستسر بسماعها فيكفي أن أقول لك أنهم بعد أن يتهموا أي شخص بالهرطقة يجب أن يعترف بذنبه بلا مناقشة ويتوب وإذا عارض فإنهم يربطونه إلى عمود ثم يشعلون النار في جسده ، وحتى عندما يعلن توبته فإنهم يشكون بها ويبدأوا في تعذيبه بطرق وحشية ليس قلع العيون وكسر العظام بأكبرها حتى يثقون أنه قد تم تطهيره ، وفي الغالب يحرق في النهاية ، أما بالنسبة للساحرات فإنهم تسببوا في قتل مئات الألاف من النساء البريئات لمجرد بلاغات غير مقرنة بدلائل على أنهن يمارسن السحر ، فكما قلنا أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تحث المواطن المسيحي على الابلاغ عن أي شخص يشتبه في ممارسته للسحر أو لأي شيء مشابه له ، وبدأت المذابح على يد محاكم التفتيش بسبب تلك البلاغات "

نظر (أحمد) لخاله بإنبهار وهو يقول :

- " يبدوا أنك تمتلك الكثير من المعلومات ولكن مازلـــت أريد معرفة ما هي التجارب التي كنت تقوم بها ذلك اليـــوم في شقتنا ..؟ ولما لا تريد الإفصاح عنها حتى الآن ؟ "

أراح (عماد) ظهره قليلاً للخلف ثم قال بابتسامة صفراء :

-" يبدو أنني سأضطر أن أخبرك بجزء من الحقيقة "

قام (عماد) من مقعده وبدأ يسير في الغرفة وهـــو يقـــول مفكراً :

- " هل يمكنك رؤية الجن والشياطين ؟ لا بالطبع لماذا إذن؟ هل هذا لطبيعة في جسد الجني أو الشيطان نفسه أم طبيعـــة في عينيك أنت !! ذلك الموضوع اصطدمت به أكثر من مرة قديماً في قراءاتي حيث ترى في السحر الأوربي أن الجن أو الـــشيطان يتمثل في صورة شخص كي تراه أنت وكي يحدثك وأنك لـــن تراه على صورته الطبيعية ، ونفس الأمر في التراث العـــربي أن الجن لا يمكنك رؤيته أبداً إلا إذا تمثل لك في صورة حيـــوان أو صورة شخص عندها يمكنك التعامل معه بـــل وقتلـــه لأنـــه يكتسب الصفات البشرية بمجرد تمثله في شكل بـــشر ولكـــن ظللت أفكر أن الجن يفعل شيئاً لكي يمكنني رؤيته ولكن لما أنا لا أفعل شيئاً كي أراه على طبيعته هو "

- " !!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!! "

– " ما هو العضو المسئول عن الرؤية في الجسد ؟؟ العين بالتأكيد ، إذن فالعين هي مجرد أله لنقل الصور إلى داخل مركز الإبصار في المخ من خلال العصب البصري ، إذن العين هي ناقله للإشارات فقط ويتم ترجمة تلك الإشارات في المخ على هيئة صور بصرية فظللت أفكر ماذا لو كانت العين تلتقط الإشارات العادية وتظهرها في هيئة صور في المخ عند ترجمتها في مركز الإبصار في المخ ، فربما كان المخ لا يترجم بعض الإشارات التي لن يقدر على ترجمتها ، فسرعة طلقة الرصاصة المخ يترجمها على أنها لهب يضيء لجزء من الثانية ويختفي .. بالرغم من أن الرصاصة تمر من أمام مركز الإبصار (العين) ثم تقوم هي بنقل المشهد إلى إشارات فيترجمها المخ على هيئة وميض وفي بعض الحالات لا يمكن ترجمة الإشارات نهائياً ولا يصبح لها مردود فعلي في المخ فيتم إهمالها

كان تفكيري يجعلني دائماً أتساءل هل الحيوانات ترى الموجودات مثل البشر أم يختلف منظور الحيوان عن منظور الطائر عن منظور الحشرة عن منظور البشر ؟؟؟

بالفعل هناك اختلاف ولكن هل هذا يرجع إلى اختلاف هذا الشيء وعدم ثباته ؟ أم إلى اختلاف قدرتنا نحن ؟؟ لماذا الذين يصابون بطول نظر أو قصر نظر أو عدم التمييز بين الألوان يرون الأشياء بطريقة غير التي يراها الشخص العادي ؟؟

إذن فهناك حقيقة واحدة للأشياء ولكن كل منا يراها بمنظور مختلف فلذلك كانت لنا عدم القدرة على رؤية الجن والعفاريت .. ولكن هم يقدرون على رؤيتنا ، وقد كانت تلك حكمة الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في قوله :

((إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ)) الأعراف: ٢٧

إذن فقد انتفت تلك القدرة في الإنس ولكن الجن يمكنه رؤيتنا ، ماذا لو أمكنني أن أرى الجن ..!!!"

- " ترى الجن ؟ "

- " نعم ، لما لا فإنك ترى في مجمع الكتب التي تكلمت عن السحر طرق كثيرة لاكتسابك قدرة على رؤية الجن سواء رؤية لحظية أو لأيام أو لسنوات ، كنت مجنوناً في صغري فبدأت بعمل مقارنات بين كل تلك الطرق وحصرها واستبعاد الطرق الخيالية منها وفي النهاية تطبيق الطرق التي يعتقد أنها صحيحة لمحاولة جعل المخ يترجم الإشارات التي تصله ولا يترجمها "

- " إذا هل نجحت ورأيت الجن !!! "

قالها (يوسف) بلهفة شديدة فرد (عماد) وهو يعود لمقعده :

- " لك أن تخمن "

- " إذن قد رأيتهم "

- " ربما أراهم ربما أشعر بهم ، ربما أراهم في أوقات ثوراتهم ، ربما أرى أجزاء منهم ، يمكنك التخمين يا (يوسف)، ربما ستعرف قريبا "

- " ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

ظل (يوسف) ينظر لعيني (عماد) طويلاً حتى قال (أحمد) :

- " إذن متى تنتهي من بحثك وراء تلك المخطوطة ؟ "

- " لا أعلم ربما يومان أو ثلاثة ولكنني لن أبحث وراءها كثيراً فأنا أبحث عن الكلمات ومعانيها وما الغرض منها "

قام (أحمد) و (يوسف) من مجلسيهما وهما يعتذران لـ (عماد) لأنهما تأخرا عن ميعاد هام بالرغم من أن (عماد) ظل يحلف بالطلاق على أنهما سيتناولان الغداء معه ولكنهما أصرا على الرفض .. عندما كان يوصلهم إلى باب الشقة توقف وجعل (أحمد) يقف هو أيضاً بينما ظل (يوسف) متجهاً لباب الشقة بدون أن يلاحظ تلك الوقفة

قرب (عماد) فمه من أذن (أحمد) وهمس قائلاً :

- " صديقك هذا يتبعه ثلاثة من الجن أينما ذهب ، أنـــا لا أرى أشكالهم لسبب لا أعلمه ولكنهم ثلاثة ويسيرون كظله ، حاول أن تكون حذراً "

نظر (أحمد) لخالـــه وقـــد اتـــسعت حـــدقتا عينيـــه في فزع ..!!!!!!!!!!

***

٩- لقاء مع الشيخ

بعد أن انتهى لقاء (يوسف) و (أحمد) مع (عماد) إنفصل الاثنان عن بعضهما على وعد باللقاء والمتابعة في هذا الموضوع

وعند اقتراب (يوسف) من منزله سمع أذان العشاء فعاد للمسجد القريب من المنزل لكي يصلي العشاء ثم يعود لمنزله

كانت صلاه العشاء قد انتهت في ذلك المسجد القريب من منزله ، ونحن الآن نرى (يوسف) يتجه بعد الصلاة إلى (الإمام) ويجلس بجانبه ، فنظر له (الإمام) ملياً وهو مبتسم ، ثم قال :

- " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أعتقد أنك (يوسف) ؟ أليس كذلك ؟ "

ابتسم (يوسف) لتبسط الشيخ وقال :

- " بلى يا شيخ ، كيف حالك ؟؟ "

- " الحمد لله ، وكيف حال دراستك وحال الحياة معك ، تبدو مهموماً أو كأن الإعياء قد استبد بك "

كان إمام المسجد شاباً في أوائل الثلاثينات ، حسن الوجه والصوت ، يطلق لحيته ، طويل القامة

وكان (يوسف) يرتاح بالاستماع إلى دروسه ، وإلى خطبة الجمعة ، كان شيخاً شاباً مرحاً إلى أقصى الحدود ، فيوسف يشعر وهو يتكلم معه بالهدوء النفسي والاطمئنان .

لذلك لم يجد (يوسف) من يسأله عن أي سؤال يخطر بباله إلا هذا الشيخ

- " الحقيقة يا شيخ (محمد) لقد أردت أن أسألك سؤالاً حول مسألة الجن وتسخيرهم ؟ "

- " أه قضية الجن ، تفضل يا (يوسف) اسأل "

- " أولاً : هل يمكن تسخير الجن ؟ لأني سمعت الكثيرين يقولون أن الجن موجود فعلاً ولكن لا يسخر !!

ثانياً : هل الجن يمكن أن يؤذي الإنسان بالفعل ؟

ثالثاً : هل يمكن لكلمات بسيطة أن تؤثر في الجن أو تسخره ؟

ابتسم الشيخ بهدوء وقال :

- " إنك تتحدث الآن في قضية شائكة بالنسبة لكثير من العلماء لأنها من الغيبيات ، والتي يتجنب الكثيرون الخوض فيها حتى لا يجدفوا ، ولكن قبل أن أحدثك عندي سؤال ، هل أتيت من منزلك أم كنت في موعد في الخارج وأتيت إلى صلاة العشاء قبل أن تمر على المنزل ؟ "

نظر (يوسف) باندهاش وقال :

- " لقد كنت في الخارج بالفعل ولكني لم أذهب للمــنزل بعد ، بل جئت إلى المسجد لألحق صلاة العشاء ؟ "

- " جميل جداً إذن نكمل الكلام في منزلي حــتى يمكــنني الاستعانة ببعض المراجع ، ولأنني أدعوك على العشاء معي ولا تحاول الرفض لأنك لن تجد مني مخرجاً "

ابتسم (يوسف) بإحراج وهو يقول

- " اعذرني يا شيخ سآتي لك في يوم أخر ولكني أشــكرك على دعوة العشاء "

- " اسمع ستأتي معي إلى المنزل لنتناول العــشاء ســوياً ، وستأكل من يدي ، لأني لست متزوجاً ولا تخف ســيعجبك الطعام ولكني أحذرك من الإسهال "

ضحك (يوسف) ثم بدأ في إبداء الأعذار ولكن الــشيخ كان مصراً وهو يضحك، وظل يقنعه حتى وافق

فذهبا معاً إلى منزل الشيخ

***

كانت شقة الشيخ تقع على بعد شارعين مــن المــسجد ، وكانت فخمة بطريقة تظهر بأنه متيسر الحال ، فعندما دخــل

(يوسف) إليها تنحنح قبل الدخول ، فقال له الشيخ أنه يعيش وحيداً منذ سنين فليدخل ولا يخف

كما قلت كانت شقة فاخرة و طريقه اختيار الأثاث تظهر جانباً من البساطة والذوق .

هناك بعض النباتات المنتشرة ، إن من أثث هذه الشقة يجب أن يكون

- " مهندس ديكور هذا هو تخصصي الأساسي "

كانت تلك العبارة من الشيخ وكأنه قرأ أفكار (يوسف)

أعد الشيخ عشاءاً يتكون من المكرونـــة وبعـــض صـــدور الدجاج ، وبطاطس محمرة ، لم يفت بالطبع على (يوســـف) أن يميز خبرة الشيخ في إعداد الطعام بالرغم من كونه ســـهلاً للجميع إعداده ، لكنه كان متقناً في الطبخ والتقديم كما يبدو، وبعد أن انتهيا من الطعام وغسلا أيديهما وأعد الشيخ كـــوبين من الشاي الساخن ، بدأ الشيخ في الكلام

- " موضوع الجن هذا كما قلت لك من المواضيع الشائكة التي يتجنب الكثيرين التدخل فيها لأنها من الغيبيات ، لكننـــا نمتلك عنهم معلومات كثيرة في ديننا الحنيف ، مثـــل القـــرآن والسنة النبوية المطهرة والتابعين والسلف الصالح ، فمن ما سبق نستطيع تكوين خلفية عن عالم الجن لا بأس بها

ولكن احذر من شيئين أولاً : أن تنسب كل فعل إلى الجن والعفاريت و ثانياً : أن تنفي كل الأفعال عن الجن "

- " لم أفهم النقطة الأخيرة ؟ "

- " أقصد أنه عندما يحدث لك أي مرض أو أي شيء غريب أن تنسب ذلك للجن والعفاريت ، وتهرع للدجالين والسحرة ، أما النوع الثاني من الأشخاص من ينكر وجودهم أصلاً أو ينكر أنهم قادرين على الإتيان بأفعال في عالم البشر ، اجعل نفسك دائماً في موقف وسط فلا تنفي كل شيء ، ولا تنسب كل شيء "

- " فهمتك يا شيخ ، ولكن ماذا عن الثلاث أسئلة ؟ "

- " أعتقد أن السؤال الأول : هل يمكن تسخير الجان ؟ وإجابته هي شيء بسيط جداً ، إذا ذهبت الآن إلى مدير إحدى الشركات ، وظللت تتودد له بالهدايا والكلام الجميل ، ثم بعد أيام من هذا التودد والتذلل طلبت منه أحد الأشخاص الذين يعملون في شركته لمساعدتك في بعض أمور متعلقة بمهنتك ، سيعطيك مدير الشركة أحد عماله لكي يساعدك في أعمالك لأنك مجدته وأظهرت قدراً من العظمة له ... والآن إذا قصر هذا العامل الذي أعطاه لك المدير في عمله معك ماذا ستفعل ؟ هل ستعاقبه ؟ أم ستذهب للمدير لتشكوه له ليعاقبه ؟ بالطبع

العامل لا يخاف منك فهو قادر أن يتركك في أي لحظة لكنه خائف من عقاب مديره الأصلي أليس كذلك ؟

إن لكل طائفة من الجن سيد ، ولكل مجموعه طوائف عشيرة تجمعها ، وهكذا وهكذا ... فإذا أراد الساحر أن يجعل له خداماً من الجن ، فإنه يظل يتودد إلى كبار الجن الكافر والفاسق بالكلام الذي يبجله ويعظمه عن ذات الله عز وجل ، وبتقديم القرابين التي يذكر عليها اسم ملك الجن أثناء ذبحها ، والتي توقعك في دائرة الكفر ، فيظل التودد هكذا إلى أن يرسل لك هذا الملك أو قائد العشيرة أحد خدامه الذين يعرفون طلباتك ويرسلها لملكه في ثوان ، ويتم عمل معاهدة بينك وبينهم ، وهذه المعاهدة إذا خالف فيها الإنسي أياً من شروطها فإن العقاب في الغالب يكون سريعاً جداً ، فمثلاً أن يطلب منك أن تذكر اسم الملك كل ثلاثة أيام الف مرة في الليلة وفي مقابل ذلك يجعل لك خادم من الجن يساعدك في شئونك ، وبهذا تكون أنت سخرت خادماً أو خادمين يمكن أن يخدماك

هذا غير أنه قديماً كان المسافون يستعينون بالملوك الجان لحراسة قوافلهم أثناء رحلاتهم ، وكانوا يقسمون على ملوك الجان بحمايتهم .

بالطبع ما ذكرتها لك هي طريقة واحدة من طرق كثيرة جداً في تسخير الجان واستدعائه ، إذا أردت ذكرت لك ما أعرفه منها ؟ "

- " أشكرك فقد اقتنعت بإمكانية التسخير ، وفهمت العلاقة بين الساحر والجن

ويا ترى ما هي إجابة السؤال الثاني الذي يقول : هل يمكن أن يؤذي الجن الإنسان ؟ "

ضحك الشيخ وقال

" أه أنت تتكلم في نقطة هامة جداً جداً ... فالجن يمكن أن يؤذي الإنسان بالفعل بأكثر من طريقه ، مثل اللبس والمس والتأثير عن بعد ، والكثير جداً ، ولكن الموضوع ليس مفتوحاً كما يعتقد البعض ، فعندما مثلاً يصاب أحد الأشخاص بالصرع أو أي مرض نفسي فإنه ينسبه إلى الجن بلا شك ، وهذا لا ينفي أن الجن يمكن أن يصيبك بالصرع ولكنه أيضاً لا يعني أن أي حالة من الصرع مثلا هي من فعل الجن .

فالجن عالم كبير ، وله قوانينه التي تحكمه وتمنعه من الاقتراب من البشر وأتكلم هنا عن الجن لا الشياطين ، فالجني يعيش حياته ولا يحتاج للإنسان في شيء ، وهو ممنوع من الفساد بين البشر ، هذا غير أنه يجب أن يمتلك الجني مقدرة كبيرة للتأثير في عالم البشر ، ولكن للجن قدرات كبيرة جداً لن نفهمها الآن بالطبع ، ولكنها قدرات تحدث تأثيراً في عالم البشر وتأثير كبير إن أردت رأيي ، وسأحكي لك عن قصة

ذكرت عن العلامة (بن القيم الجوزي) رحمـــه الله في كتابـــة المشهور (العرائس)

اتفق لبعض طلبه العلم أنه سافر وساح في ارض الله ، فبينما هو في برية واسعة بين جبال ، إذا اشتدت عليـــة الظهـــيرة ، فأخذه من العطاش ما أخذه ، فصار يلتفت يميناً وشمالاً أن يرى خضرة أو طير فلم يجد شيئاً من ذلك ، وإذا هو برجل قد أقبل وسلم عليه ، وقال له لعلك ظمآن ، قال بلى . فأجلسه تحـــت وهده من الجبل وغاب قليلاً ، ثم أتى إليه بخبز ســـاخن كأنمـــا خرج من تنور ، وقثاه خضراء رطبة ، وماء بـــارد ، فأكـــل وشرب حتى ردت روحه ، وذهب ما بـــه مـــن ألم العطـــش والجوع والتعب وحمد الله تعالى ، ثم قاما معاً حتى ظهرت لهما مدينة من بعيد ، فقال له الرجل قد صار لي عليك حق وذمـــام (أي عهد) ، وأنا رجل من الجان ولي إليك حاجة ، فقال له يا أخي ما حاجتك ، فقال إذا أتيت إلى مكان كذا من هـــذه المدينة فإنك تجد فيه دجاجاً بينهن ديك أبيض ، فاســـأل عـــن صاحبه واشتره منه واذبحه ، فهذه حاجتي ، فقلت ذاك مما لك علينا من الحق ، وأنا أيضاً يا أخي أسألك حاجة ، فقـــال مـــا هي ، قلت له إذا كان الشيطان لا تعمل فيـــه العـــزائم ، وألح الآدمي فما دواؤه ، فقال يأخذ له وتر من جلد اليحمور (وهو الحمار الوحشي) فيشد به إبهام المصاب شداً وثيقاً ، ويأخـــذ من دهن السذاب البري ويقطر في أنفه الأيمن أربعا والأيســـر ثلاثا ، فإن السالك يموت بوقته ولا يعود بعد ذلك ، ثم قال :

فلما دخلت المدينة أتيت إلى ذلك المكان ، فوجدت الديك لامرأة عجوز ، فسألتها بيعه فأبت ، فرغبتها بالدراهم ، فاشتريته بأضعاف قيمته ، فلما اشتريته إذا بالجني تمثل لي من بعيد ، وقال لي بالإشارة اذبحه فذبحته ، خرج عند ذلك رجال ونساء يضربونني ويقولون أنك ساحر ، فقلت لست بساحر ، قالوا انك ذبحت الديك وقد أصيبت شابه عندنا بجني ، وهي بنت رجل عظيم ذي شوكه في البلد ، ومتى علم بهذا الأمر قتلك ، فقلت لهم ائتوني بقطعه جلد اليحمور ، فأتوني بها فصنعتها خواتم ، وطلبت منهم دهن السذاب البري فأتوني به ، فدخلت عليها ولبستها الخواتم فعند ذلك صاح الجني وقال علمتك على نفسي ، ثم قطرت في أنفها اليمنى أربعا وفي الشمال ثلاثا ، فخر ميتاً من ساعته ، وعفا الله عن تلك الشابة و لم يعاودها بعد ذلك الألم

مما رأيت من الحكاية السابقة هو قدرة الجني على إيذاء الشخص بل وقدرة الرجل على قتل الجني ، ولكن طبعاً قتل الجن ليس كقتل نمله أو صرصور بل هو قتل نفس ، والموضوع ليس سهلاً ، ولن يمر قتل نفر من الجن على عشيرته هكذا مر الكرام فلابد من الانتقام إذا كان من أسياد العشيرة .

المهم إن الجن له قدرة في التأثير في حياه البشر بل وله قدرات أخرى كأن يتشكل في أشكال البشر أو الحيوان أو بعض الجمادات

وهو يكتسب بعض خواص الأشياء الـذي يتـشكل في حيزها مثل لو تشكل في شكل بشر لأمكن قتله مثـل البـشر وهكذا

- " أنني أفاجأ بكم غريب من المعلومات عن الجن ولكـن هل هناك فرق بين الجن والشيطان "

- " الحقيقة أن الكثيرين يجمعون بين الجن والشيطان والمارد والعفريت والقرين في سلة واحدة ، ولكن الموضـوع يحتـاج لتفسير فلفظة جن تندرج تحتها أنواع من الجن التي لها مسميات في عالمنا ، فعندك مثلاً في تعريف لفظة (الغول) :

قال (المنذري) : الغول بضم الغين المعجمه هو شـيطان يأكل الناس ، وقيل هو من يتلون من الجن .

وقال (الجزري) : الغول أحد الغيلان وهي جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفـلاة تتـراءى للناس فتتغول تغولاً، أي تتلون تلوناً في صور شتى، وتغـولهم، أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم .

وفي تعريف لفظة المارد :

(مارد) مرد : أي تمرد وتطلق على من تمرد مـن الجـن وخرج عنهم ، ويدعى مارداً وهو يمتلك القوة ليتدخل في عالم البشر

وفي تعريف لفظه (الجاثوم) :

يقول ابن منظور في لسان العرب عن الأصمعي: والجُثَامُ والجاثُومُ: الكابُوس يَجْثِمُ على الإنسان ، وهو الدَّيْثانِي. التهذيب: ويقال للذي يقع على الإنسان وهو نائم جاثوم وجُثَم وجُثَمة ورازِمٌ ورَكّاب وجَثّامة

والجاثوم هو صنف من الجن يتسلط على الإنسان عند النوم ويتحكم في مراكز الحركة في المخ ، فيشعر الإنسان بحالة من الشلل ولا يستطيع أن يتكلم أو يصرخ أو يتحرك .

أما الشيطان فهو الذي يعمل على ضلال البشر أجمعين ، وهو من نفس خلقة الجن ، لكنه لعيش حياته في الوسوسة والضلال

وقد قال (السيوطي) في كتابه الرهيب (لقط المرجان) :

قال (بن عبد البر) : أسماء الجان عندهم على مراتب ، فإذا ذكر الجن خالصاً قالوا: (جني) ، وإذا أردوا مما يسكن مع الناس قالوا: (عامر) ، والجمع (عمار) ، وإذا كان مما عرض للصبيان قالوا : (أرواح) وإذا خبث وتعرض قالوا : (شيطان) وإذا زاد أمره على ذلك وقوى أمره قالوا: (عفريت)

والجن كالبشر يعيشون ويأكلون وينامون ويتناكحون ويتناسلون ، فمنهم المسلم ومنهم النصراني ومنهم اليهودي

ومنهم الكافر والعاصي والغافل ، ومنهم الغبي والذكي أو الضعيف أو القوي ، وكل ما تتخيله ، فهم عالم يعيش كعالمنا له قوانينه التي تحكمه وأعرافه التي تسيطر عليه .

ثم هناك الجن المسلم والنصراني واليهودي الذين لا يضرون أحداً سواء من البشر أم من الجن ، وهناك أيضاً المسلم والنصراني واليهودي الفاسدين في الأرض فيضرون البشر والجن ولا يتركون شيئاً ، وهم في عالمهم كالمجرمين في عالمنا ، مطاردين ومنبوذين

وتختلف بالطبع قوة كل نوع من الجن عن النوع الأخر

فعندك مثلاً نوع من الجن يسمى الجن الطيار ، وهو الذي يملك جناحان يطير بهما في السماء كالطير ، ولكنه أسرع بالطبع من الطير بمراحل كثيرة ، فهذا النوع له قدرات لا توجد لنوع أخر ، وهناك مثلا المارد الذي يمتلك قوة كبيرة للتأثير في عالم الجن و البشر معاً وهناك الشياطين التي تسخر قواها للشر والفساد ، ويزيدون قوة كلما زاد الفساد

***

(مارد) .. مرد : أي تمرد ... وتطلق على من تمرد من الجن وخرج عنهم ، ويدعى مارداً ... وهو يمتلك القوة ليتدخل في عالم البشر

" مرحباً أيها المارد ، ما رأيك في لقبك الجديد يـا (إبـن ذاعات) ؟ المارد .. سيكون هذا لقبـك منـذ الآن بعـد أن خالفت الأعراف والقوانين "

***

انبهر (يوسف) بطريقة شرح الشيخ ، وبقدرتـه علـى استرجاع المعلومات بسهولة و سردها بطريقة مباشرة ، فكان (يوسف) يجاهد لمحاولة الاحتفاظ بأكبر قـدر مـن تلـك المعلومات في رأسه

انتهى الشيخ من الكلام لينتظر سؤال (يوسـف) القـادم فقال صديقنا :

- " لم أكن أتخيل أن عالم الجن بهذا التعقيد ، فأنا كنـت أعتقده عالم همجي يضرون بالبشر فقط ولا يفعلون شيئاً غـير هذا "

ابتسم الشيخ وهو يقول :

- " يهمل الكثيرين حقيقة يعرفها العلماء جيداً ، وهـي أن الجن مكلفون بالعبادة كبني أدم ، ويحاسبون ويدخلون الجنة أو النار مثلنا ، فما يجعلهم يتركون دنياهم وحالهم ولا يفعلوا شيئا سوى التدخل في عالمنا ؟ ، بل الذين يتدخلون في عالمنـا هـم العصاة المجرمين المنبوذين في عالم الجن ، مثل الشياطين مثلاً ، أو المردة الكفرة

والآن ما هو سؤالك القادم ؟؟؟؟؟ "

- " أعتقد أني أريد معرفة هل يمكن أن توجد كلمات تؤثر في الجن أو تسخره ؟ "

- " سؤالك هذا إجابته ستكون متفرعة ولها علاقة كبيرة بعلم الموجات الصوتية وبعض العلوم الأخرى ، ولكني سأبسط لك الإجابة كي تفهمها من أول مرة

قضية تسخير الجن عن طريق كلمات ذكرتها لك منذ قليل

فالكلمات التي يرددها الساحر ــ والتي تسمى عزائم ــ في أغلب الأحيان تكون شرك بالله عز و وجل وتعظيم لشأن أحد ملوك الجن الكفرة ، ولكن هناك طريقة أخرى وهي أن يقسم الساحر على أحد أفراد الجن أن يخدمه بحق (اسم مارد من مردة الجن) حيث أن نفر الجن العادي يخاف من هذا المارد أن يسبب له الضرر ، وفي بعض الأحيان تكون الكلمات هي طلب من بعض أفراد الجن الحضور لينفذ شيئاً معيناً مقابل كلام معين ، وفي الغالب تكون تلك الكلمات باللغة السيريانية ، أو اللاتينية ، أو العبرية القديمة ، أو أي لغة قديمة ، وفي بعض الأحيان يعلم الجن شفرة من الكلمات للساحر حتى يستدعيه بها في أي وقت .

الشق الثاني من الكلمات التي تؤثر في الجن يكـــون قـــراءة آيات من القرآن ، وتلك الآيات التي تتوعد بالعذاب للمضللين وهكذا ، لأن الجن يتأثر بها لأنه يعرف أنه بتدخلـــه في عـــالم البشر يفعل معصية سيحاسب عليها يوم القيامة

ولا تنسى أن الله لم يجعل لعالم الجن القدرة على التـــأثير في عالم البشر من فراغ ، فالله له الحكمة في ذلك بالتأكيد ، فربما كان ابتلاء واختبار من الله سبحانه وتعالى للجان ليحاســـبهم عليه يوم القيامة .

- " سبحان الله ، ولكن ماذا يمكن للجن أن يفعله في عالم البشر ؟ "

- " لا نعرف جذراً حدود قدرتهم ، ولكن يمكننا مما روي لنا أن نحدد بعض الأشياء ، مثلاً : يمكنه أن يؤثر بطريقة غـــير مفهومة لنا على مراكز عقلك ، حيث يجعلك تشعر بأحاسيس وترى أشياء ليس لها وجود في الواقع وربما تحكـــم في بعـــض مراكز الكلام والأعصاب في المخ ويمكنه أيضاً أن يتـــشكل في أشكال البشر ، أو أشكال الحيوانـــات ، أو أشـــكال بعـــض الجمادات ، فيمكنه التأثير في دنيا البشر بتلك الطريقة

وبالطبع هناك طرق أخرى كـــثيرة لا يمكـــن معرفتـــها أو تحديدها .

" لن تجده في سور الأزبكية الآن لأنه في مقبرته ، لقد توفي عم (صبحي) منذ ما يقارب السبعة عشر عاماً ، وكان يمتلك

كشكاً بجانب هذا الكشك فعلاً ، ولكن يبدو أن أحدهم قد وصف لك المكان والشخص ، ماذا يحدث لك يا بني ؟ لماذا أنت مندهش هكذا ؟

اجلس يا بني فالإعياء يبدو عليك بشدة ، هل أنت من طرف أحد أقربائه أم ماذا ؟ "

***

عاد (يوسف) إلى منزله بعد أن استأذن من الشيخ في أن يذهب ، لقد فهم الكثير جداً عن عالم الجن

تلك المعلومات التي رواها له الشيخ تتراص أمامه مرة أخرى ، كمية من المعلومات التي بالطبع نسى منها القليل ، لكنه يتذكر الكثير أيضاً .

فتح باب شقته ليرى أخته تجلس في الصالة تشاهد التلفاز

– " لماذا كل هذا التأخير ؟ لماذا لم تتصل لتخبرنا أين كنت؟:

كانت تلك من (رحاب) وهي لم تحرك عينيها من أمام التلفاز

– " انشلغت كثيرا مع أصدقائي في أمور هامة "

هنا نظرت له (رحاب) وهي تقول :

– " ادخل لتبدل ملابسك ، وانتظرني دقائق لأعد لك العشاء "

- " شكراً ، لقد أكلت منذ قليل مع صديقي ، أحتاج أن أنام بشدة فلا توقظيني غداً "

- " أليس هناك محاضرات؟ "

- " توجد واحدة ولكن لن أحضرها فأنا لا أحتاجها "

دخل (يوسف) لغرفة نومه وقد ثقل جفنيه ، وهو يشعر بخمول يجتاح جسده ، ذلك الخدر الذي يصيبك بعد يوم شاق ، استبدل ملابسه ثم دخل إلى الفراش وهو يقرأ بعض الأذكار كعادته ، وأغلق جفنيه مستسلماً للنوم براحه وهدوء بال .

***

ما تلك الرياح التي يشعر بها ؟ إن الطقس بارد بالفعل لكنه يذكر أنة قد عاد لمترله !! يشعر بهواء يدخل بين ضلوعه ويجعله يرتعش من البرد ، ولكنه لا يرى شيئاً ، شيئاً فشيئاً بدأ يرى صورة تتكون أمامه ؟ إنه يرى نفسه يقف في منطقة تحيط بها المرتفعات الرملية من كل الجهات ، والظلام يغطي كل شيء ، لقد فهم (يوسف) ما يراه الآن إنه الآن داخل حلم !!!

يبدو أنه علم أنه يحلم ، ولكن عقله يعمل جيداً وهو داخل الحلم ، ولكنه مسلوب الإرادة ، فالحلم يسير كما هو ولن يقف على ما يبدو .

إنه يرى مجموعه من الجمال تسير ببطء في وسط تلك الرمال ، جمال ..!!!

وما الذي أتى بالجمال الآن ....؟

وبجانب الجمال يسير ثلاثة رجال . وعند أول جمل رجل يقوده ، وعند أخر جمل هناك رجلاً أيضاً يراقب بقية الجمال حتى لا تحيد عن طريقها .

لم يكن يتبين في الظلام وجوه الرجال أو ملابسهم ، ولكنه تبين أن بعض الجمال تحمل أشياء مربوطة على ظهرها ، والبعض الأخر يحمل شيئاً مربعاً كبيراً يشبه الهودج الذي كان يراه في أفلام عنترة بن شداد ، كأن ما يراه الآن هي قافلة تسير في الصحراء ؟

وفجأة توقفت القافلة بين الرمال ، وتقدم رجلاً من الذي كانوا يسيرون بجانب القافلة ، ثم وقف بجانب جبل من الجبال الرملية ونظر إلى السماء ورفع يديه بجانب جسده ، ثم قال بصوت عال :

- " أقسم عليكم يا أهل الجبال أن لا تؤذونا ولا تقتربوا منا هذه الليلة ، أعوذ بسيد هذه الوديان من غدر أهل الجان ، أعوذ بسيدكم أن يحمينا في مبيت قافلتنا هذه الليلة في واديكم ، أعوذ بكم يا أهل وادي الجن ، أعوذ بالملك الأحمر ، وأعوذ بسمسائيل ، وأعوذ بالمخلبي بن ذاعات ، وأعوذ بسيد وادي العداه وسيد وادي القرنيم .

كان (يوسف) يقف من بعيد في الحلم وهو يراقب هـذا المشهد ، وبمجرد أن سمع الكلمات وفهم أن الرجل يستعيذ بغير الله تأفف وأستغفر الله .

ثم أعاد الرجل مرة أخرى تلك الجمل بصوت مرتفع عـدة مرات ، إلى أن جاء صوت من مكان ما من الـصحراء جمـد (يوسف) من الرعب .

صوتاً رفيعاً جداً ، ويتكلم بصوت كأنه الفحيح ، وكـان الصوت ممطوطاً .. قال الصوت عبارة واحدة ، ولكنها كانت مسموعة :

" أعذناك ، أنت في أمان "

الصوت في الحقيقة يجعـل فرائـسك ترتعـد ، حـتى أن (يوسف) بدأ يرتعش وقد فهـم أن الموضـوع لـه علاقـة بالتحدث مع الجان

أما الرجل الذي كان يقف في الصحراء يتكلم ، فقد عـاد لينيخ الجمال مع باقي الأشخاص ، ثم بدأ الرجال في بناء خيام ضخمة ، ولكن الغريب أن الرجال وهم يعدون الخيـام قـد توقفوا فجأة !!!!!

ثم نظروا جميعاً إلى المكان الذي يقف فيه (يوسف) ، لقد ركزوا أنظارهم ناحية (يوسف) وكأنهم يروه جيداً ؟ أمـا

المصيبة أن (يوسف) قد رأى وجوههم في ضـــوء القمـــر ، لم يتبين أشكالهم جيداً ، لكنه تبين منهم شيئاً واحداً

لقد كانوا ينظرون إلية ويتبسمون !!!

***

هذا غير أنه قديماً ما كان المسافرين يستعينون بالملوك الجان لحراسه قوافلهم أثناء رحلاتهم ، وكانوا يقسمون على ملـــوك الجان بحمايتهم

***

١٠ - ذكريات غريبة

الساعة الآن قد قاربت علــى الواحــدة والنــصف لــيلاً و(عماد) مازال يجلس أمام مكتبه ومن جانبه ارتفعت أصوات موسيقى من جهاز الكومبيوتر المجاور له ، يفكــر بعمــق في الأحداث التي حدثت له صباحاً عندما قابل (أحمــد) إبــن شقيقته وصديقه (يوسف) ، يا لها من مقابلة ويا لهــا مــن مفاجأة

لقد كان يتوق لمشاهدة أحد أفراد العائلة منذ زمن طويــل منذ أن حدثت تلك الحادثة في الليل ، إنها حادثة تقــشعر لهــا الأبدان ، لقد ظل يندم عليها إلى الآن .

أغمض عينيه قليلاً وهو يرى نفسه في صغره عندما أراد أن يقتحم عالم الجن والغيبيات بأي طريقة ، عندما كان يبحــث كالمجنون في داخل الكتب عن حوادث رؤية الجان أو العفاريت ثم يسجل كل هذا في أبحاث ليبدأ تحليلــها وتفنيــدها منــذ الأحداث التي ذكرت في كتب السحر الأوربية إلى الأحــداث التي ذكرت في كتب العرب .

كان يملك ذاكرة تختزن كل ما تمر عليه عيناه عــن تلــك الموضوعات بسهولة فكان يكفيه أن يقرأ أي كتاب ليحتفظ في

عقله بمقتطفات كثيرة من الكتاب كأنها منسوخة ، ما زال يتذكر الكتب العربية التي انبهر بتفكير علمائها الذين عرضوا أشياء غريبة ربما كانت بعيدة جداً عن العقلية العربية في تلك الحقبة ، فهو يتذكر مثلاً رأي (القاضي عبد الجبار) في مسألة تشكل الجن في صور مختلفة كالحيوانات والحشرات حيث نفى أن يكون التحول بصورة بدائية كالتي يتخيلها العامة من تحلل ذرات الجسد وتشكلها في أي شكل ، فرأيه أن الذرات الخاصة بالجسد إذا تم انفصالها فإنها لا تعود مرة أخرى ولقد عرض رأي شائق عن تلك المسألة

وفي كتب السحر الأوربية كان الساحر يرى الشيطان في صورة حيوانات كي تأتي له لتخبره بما هو مطلوب منه .

أما الكتب التي كتبت باللغة الأوردية في أوديه الهند فقد حوت على أساطير عن رؤية الكائنات الغريبة وذلك يكون بالتقشف والزهد لشهور طويلة جداً حتى تصل إلى حالة معينة من الصفاء تجعلك تسطتيع رؤيتهم ؟؟

والكتب العبرانية قد تكلمت عن تلك المسألة بطريقة غريبة بعض الشيء في موضوعات الطلاسم التي يجب أن تتم في مواعيد فلكية محددة لكي تأتي بخادم الجن والذي لم يكن له وصف محدد في تلك الكتب .

إذن فالعبرة هنا أنك فعلت شيئاً لتستطيع أنت رؤيتهم لا أهم يظهرون لك بإرادهم ..!!!

كانت تلك هي نقطة انطلاقه وبحثه في تلك المسألة حيث تعرض لطرق غريبة في كتب سحر باللاتينية حصل عليها بطرق غير مشروعة ، طرق تتحدث عن بعض الأعمال التي تفعلها كأن تقتل فتاة وتلطخ بدمها الأرض ثم ترسم على الأرض رسومات معينة وتضع على الأرض بضعة قطرات من دمك وأشياء أخرى معقدة جداً كي يحدث اتصال بين عالمك وعالم الشياطين

هناك أشياء كثيرة مشتركة في تلك المسألة بين جميع الأمم وهناك أيضاً اختلافات قبلية أو دينية أو لغوية فالأختلافات القبلية كأن يقول لك الرجل أنك تقدر على رؤية روح الأجداد مثلاً ، والاختلافات الدينية والتي وجدت في عصور محاكم التفتيش هي التي طغت على بعض كتب السحر الأوربية من ذكر أن الذي يتعامل مع الشيطان ويبيعه روحه فإنه لن ينال خلاصه ، واختلافات لغوية أي تلك الكلمات التي يقحمها أي شعب على كلمات السحر الأصلية كأن يقول بعضهم في وسط الكلمات كلمات من الانجيل أو من القرآن محاولين اضفاء صبغة الدين عليها ، أو أسماء رجال أو شخصيات ينتمون لذلك الشعب او تلك الأمة ، وربما حوت تلك الكلمات على تمجيد لبعض الأجداد .

بالطبع تلك الاختلافات قد ميزها (عماد) بعد خبرته لسنوات طويلة من القراءة وقد توصل لطرق مجردة بلا أي إضافات بلا فائدة ، وحتى تلك الطرق قد استبعد منها الطرق الغريبة التي شعر أنها مجرد كلمات لها بعض المعاني العادية بعد ترجمتها من لغتها الأم سواء كانت فرنسية أو انجليزية قديمة أو لاتينية أو حتى عربية .

وفي نفس التوقيت تقريباً بدأ يدرس تشريح المخ ووظائفه دراسة جيدة حتى يفهم ما يقوم به وبدأ في تلك الليلة باختيار طريقة من تلك الطرق .

طريقة كتبت بأيد عربية في أحد كتب السحر القديمة

نفذها بدقة شديدة

وانفتحت بعدها أبوب من العذاب لم يقدر على إغلاقها حتى الآن

شعر بوخز خفيف في تلك الليلة في رأسه ثم بدأت الرؤية تدخل في جانب من التشوش بلا معنى

وفجأة صداع رهيب برأسه يكاد يفجرها ، و بدأ يرى ألوان غريبة تنتهي دائماً باللون الرمادي !! ثم شعر أن الألم يزداد في رأسه وأن هناك ألوان تتغير أمام عينيه بسرعة غريبة .. ثم تلك الأشياء التي تتحرك بسرعة رهيبة ..! أشياء على السقف ، أشياء على الأرض ، على مكتبه . على فراشه

أصوات كثيرة همسات ، صرخات ، أضواء بيضاء تغمــر الموجودات ثم الأثاث يهتز ويبدأ بالارتفاع والهبوط بسرعة

لحظات في ذلك العذاب لا يمكن تحملها ولكنه فجأة شــعر بارتخاء في عضلات جسده ثم سقط على الأرض

سقط بالفعل على الأرض ولكنه مازال يرى .

الألم الذي عذب رأسه بدأ يهدأ تدريجياً والألوان كفت عن التغير وبدأ أن هناك تشوش بسط في الرؤية ثم أختفــى هــذا التشوش ليرى الأهوال أمامه .

من قال أن الساحر يعيش في نعيم !!! لقد دفعــه فــضوله للدخول في عالم لن يمكنه تحمله .. فاليرحمه الله

***

تراصت تلك الذكريات في عقله وهو مازال يجلــس علــى المقعد مغلق العينين ، حتى توقفت ذكرياته عند وقوعــه علــى الأرض في ذلك اليوم وبدأ برؤية الرعب الحقيقي ، عندها فتح عينيه وابتسم بسخرية وهو ينظر حوله لتلك الكائنات التي تملأ الغرفة على السقف والأرض وفي كل مكان .

اعتدل في مجلسه وهو يمسك بالورق الذي تركه (يوسف) ويعيد القراءة للمرة العاشرة ثم يقف عند الصفحة التي احتوت على كلمات الاستدعاء وتراصت الأفكار في عقله .

كلمات لاستدعاء خادم من الجن يجعلهم أغنياء ، ضـــحك بسخرية وهو يقول في نفسه من هذا الطفل الذي يخدع بعبارة كتلك ، لا يوجد شيء اسمه خادم من الجن بمجرد أن تستدعيه يأتي لك بنقود فحتى إذا كان من الممكن ذلك فإنه يحتـــاج إلى طرق معقدة وليست إلى قراءة كلمات فقط ، هنـــاك شـــيء غريب في تلك الكلمات ففيها لهجة للمخاطبة تحتـــوي علـــى كلمات مثل (جنود) و (عودة) و (الجـــيش الأعظـــم) وأشياء غريبة ليس لها علاقة بالمال بالطبع ولا بخدام الجن .

إنها دعوة لشيء ما لا يعلم ما هو ولكنه بالطبع ليس شـــيئاً حقيراً في عالم الجن ، هناك دعوة لجنود لكي يعودوا !!!!

وعن فلك قيد من يدعى (إبن ذاعات) ؟؟؟؟ مـــا تلـــك الاشارات الغريبة !!!

المشكلة أن الكلمات تفعل شيئاً في الحقيقة لكنه يعلم أيضاً أنها لا تستدعي خداماً من الجن لجعل الأشخاص أغنياء !!

ثم هناك نقطة غريبة ، لماذا يجب أن ينطق الأربعة الكلمات ثم ينطق شخص خامس كلمات أخرى بها لهجـــة الاســـتدعاء الحقيقية والتي تحتوي على كلمات مثل (الوحي ــ العجـــل ــ الساعة) تلك الكلمات هي دعوى معروفة في كتب الـــسحر العربية وهي حقيقية ، ولكن لماذا قد كتب في المخطوطة بـــأن

الساحر الفارسي الذي يدعى (الحي بن القصاب) يقول تلك الكلمات فجأة ، هل لم يكن الأربعة يعلمون أنه سيقولها ؟؟؟

بالتأكيد ذلك هو ما حدث ، الساحر علم الأربعة كلمات، ثم بدأ هو بترديد كلمات أخرى ، يا ترى لماذا فعل ذلك ؟

هناك شيء يعتقد أنه مألوف في موضوع أن ينطق شـــخص ما كلمات ثم وبعد أن ينتهي منها ينطق الساحر كلمات

تلك الطريقة تشبة التضحية فالساحر من الممكن أن يجعـــل الضحية تنطق الكلمات ثم ينطق هو كلمات أخرى

والآن هناك كلمات بعضها أسماء لملوك من الجن يعـــرفهم وبعض الأسماء الأخرى التي لا يعرف معناها ؟

لكنه يتذكر جيداً أن هناك ما يسمى علم الحرف يتكلم عن أن هناك حروف إذا اجتمعت ونطقت بطريقة معينة فإنها تعطي ترددا صوتياً معيناً يسمعة أنفار من الجن مهما كانت المـــسافة بعيدة عن الشخص الذي نطق الكلمة وعن الجني نفسه .. هل تلك الكلمات حروف مجمعة تعطي ترددات وموجات صوتية معينة ؟

من هو (إبن ذاعات) هذا ؟ قرب (عماد) رأسه قلـــيلاً من الورق ليتأكد من الاسم وينطق حروفه بصوت عالي ليتأكد من صحته

- " إبن .. إبن ذاعات "

هنا سمع أصوات كثيرة تصرخ فنظر أمامه ليجد أشياء تقف تنظر له وتطلق أصواتاً غريبة من حلقها ؟

أحس بخدر رهيب في أطرافه فجأة ومـال رأسـه للأمـام ليدخل في حالة إغماء ، بالفعل دخل في تلك الحالة ولكن عقله واعياً لأنه بدأ برؤية أشياءاً كثيرة وكأن هناك فيلم سـينمائي يعرض أمامه

كائن مقيد بسلاسل وهو يصرخ وأمامه يقـف شـيئان لم يتبين ملامحهم يحملون حراب مدببة ويوجهوها ناحيته بتحفز

تبدلت الصورة فجأة لتظهر أمامه مقـابر وسـط منطقـة صحراوية وقد غطت معظمها الرمال ما هذا الذي يراه ..؟؟

على كل مقبرة هناك شيء يقف ، لا ليس شيئاً بـل هـم رجال ونساء وأطفال يقفون ويبكون بلا سبب ؟

فجأة يرى الآن كائناً بشع المظهر أسمر البـشرة يجلـس في خشوع ؟ ما الذي يفعلة !!!

إنة يركع ثم يسجد ؟؟ إنة يصلي كما يـصلي المـسلمون بالظبط .

مرة أخرى يتبدل المشهد ليرى ثلاثة رجال يغلفهم لون أحمر يخفي ملاحهم ويخفي ملامح أجسادهم ، لكن هناك سـلويت عام خارجي لهم يوحي بالضخامة !! لحظة

إنه يتذكر أنه رأى تلك الأجساد من قبل ، نعــم هــؤلاء الثلاثة هم الذين كانوا يتبعون (يوسف) عندما قابله اليوم

هو في الغالب يمكنه رؤية أنواع كثيرة من الجن وفي أوقات مختلفة على حسب عوامل كثيرة كسرعة الجني وحسب قدرته وحسب أوقات ليلية أو صباحية ، لكن هؤلاء الثلاثة لا يعلــم ماذا بهم ، فهو يعلم أنهم من الجن لكنه لم يرى مثلهم من قبــل وخصوصاً أنه يراهم كسلويت لكن كأشكال فهو لم يميزهم ؟

الثلاثة يقفون وفجأة بدأ أولهم في الاهتزاز بسرعة ، كــان يرتعش بسرعة رهيبة حتى بدأت تتشكل له ملامح رجل ؟

ثم بدأ الاهتزاز مرة أخرى لتتشكل ملامحه ملامــح رجــل عجوز ، ثم بدأ الرجل الثاني والثالث في الاهتــزاز مثــل الأول وبدأت ملامحهم وأشكالهم تتغير بسرعة وتتبدل من امــرأة إلى طفل إلى شاب إلى عجوز بسرعة

وهنا

بدأت الصورة تختفي تدريجياً حتى رأى (عماد) سواد تام

بدأ يفيق رويداً رويداً وينظر حولــه برعــب ثم ينظــر إلى الأوراق التي تركها (يوسف) وهو يقول :

- " هناك لغز رهيب وراء تلك الكلمات لابد أن أفهمه "

١١ – بعض المفاجآت

هذا هو اليوم الذي سيخبر فيه (د . يـسري) أصـدقاء (يوسف) عن حقيقة المخطوطة ، وقد ذهب (مصطفى) و (محمود) إلى مكتب الدكتور قبل أن تدق الساعة الواحـدة بربع ساعة ، ظلا يفكران في تلك المقابلـة وهـل سـيتمكن أستاذهما من الوصول لمعلومات عن تلك المخطوطة أم لا

ولكن بمجرد الاقتراب من مكتبه وجداه جالساً وهو يشرب كوباً من الشاي ويطالع كتاباً صغيراً ، فتنحنحا وهما على باب المكتب

– " أهلا أهلا تفضلا ، لما تنتظران بالخارج ؟ "

فدخل (مصطفى) و (محمود) بهدوء ، وجلـسا أمـام مكتبه وهما ينتظران أن يبدأ هو بالكلام

– " الحقيقة أن موضوعكما قد استغرق مني مدة في البحث عن شيء يمت للقصة في الكثير من الكتب والمراجع ، ولكني لم أجد ذكراً للقصة إلا في كتابين ، الكتاب الأول قال عن القصة أنها من سبيل التدليس وأنها ملفقة للرحالة (بن إسـحاق) ، و كتابه كنز الرحلة لم يحتو على شيء بخصوص ما يسمى بـ (مدينة الموتى) والتي قيل أن أحد تلاميذه قد تكلم عنـها في

مجموعه صفحات نقلاً عن كتاب (كنز الرحلة) ، أما الكتاب الثاني فيقول بأن الرحالة (بن إسحاق) قام برحلة إلى مصر ، لكن لم يكن هناك ذكر للمدينة التي قيل أنها وجدت بمصر ، وأنها من الأساطير التي لم تنل الشهرة حتى ، ومما سبق يمكنني أن أقول لكما أن الرحالة (بن إسحاق) كان موجودا بالفعل ، لكنه لم يزر تلك المدينة ، وبالنسبة لتلميذه فربما يكون موجوداً ولكنه لم يكتب أي ورق يتحدث فيها عن المدينة

فكل تلك الحكايات هي من خيال الشعوب التي تضخم الأشياء عن حدها الطبيعي "

كانت الصدمة واضحة من كلام الأستاذ على وجه الطالبين ، فهما برغم كل شيء كانا يأملان أن يكون هناك شيء من الحقيقة في الموضوع ، لكن أن تكون الحقيقة مؤلمة بتلك الطريقة فهذا شيء مؤسف

- " شكراً لك يا دكتور ، لقد أفدتنا جداً ونأسف لإزعاجك "

***

أكدب عليك إن قلت بحبك لسه أكدب عليك .. وأكدب عليك لو قلت نسيتك همسه أكدب عليك .. أمال أنا إيه ، قلبي أنت أنا إيه .. اختار لي بر وأنا أرسى عليه

ظلت نغمة الهاتف تتردد

- " ألو "

كان هذا صوت (يوسف) الناعس عندما استيقظ على صوت الهاتف المحمول :

- " كيف أحوالك ؟ "

- " من أنت ؟؟؟؟ "

- " أنا (مصطفى) "

- " مصطفى ؟؟؟ "

- " لا حول ولا قوة إلا بالله ، استيقظ من النوم يا (يوسف) أنا (مصطفى) صديقك ، استيقظ من فضلك قبل أن ينتهي الرصيد "

- " أه تذكرتك ما أخبارك وأخبار عمو (عادل) "

- " عمو (عادل) !!! يبدو أنك لم تتذكرني ، استمع لي ، لقد سألنا أحد أساتذة قسم التاريخ عندنا عن موضوع (إبن إسحاق) والمخطوطة "

وكأن الذاكرة قد لطمت (يوسف) على عقله ليستعيد وعيه دفعة واحدة

- " تذكرت تذكرت ، أسف يا (مصطفى) ، ماذا قال؟"

- " قال أن الحكاية التي رويت عن (إبن إسحاق) كلها ملفقة وكاذبة ، وبالتالي لا توجد مخطوطة من الأساس "

- " ما هذا الكلام ؟ كيف يكون كل شيء بلا أساس فجأة هكذا ؟ "

- " هذا هو ما حدث والله ، ولكنك لم ترو هل وجدت دليل ما في سور الأزبكية أم ماذا ؟ "

تجمد (يوسف) لثوان عندما ذكره (مصطفى) بموضوع سور الأزبكية ، ماذا سيقول له ؟؟

- " ما رأيك تتقابل الليلة جميعاً ، ونتكلم عن الموضوع باستفاضة أكثر "

- " أنا موافق ، ولكن ماذا عن الآخرين ؟؟؟؟ "

- " سأقنعهم بنفسي ، وخاصة أن اليوم ستسافر أمي وشقيقتي إلى البلد في زيارة لخالتي المريضة ، ستكون الشقة خالية "

- " إذن سأخبر (محمود) و(حامد) وأنت أبلغ باقي الشلة "

- " بعد صلاه العشاء سأنتظركم الليلة ، وأنا سأبلغ الباقي بالميعاد "

تيت تيت تيت تيت

ابتسم (يوسف) من داخله ، يبدو أن رصيد (مصطفى) قد انتهى ، و (مصطفى) لن يسامحه ، في الغالـــب ســـينتقم وسيكون انتقامه عنيفاً

***

بعد الطقوس المعتادة التي اعتاد أن يفعلها (يوسف) كـــل صباح ، تأكد من ذهاب أمه إلى عملها ، ومن ذهاب شـــقيقته إلى المدرسة ، ثم اتجه إلى الهاتف ليطلب رقماً يعرفه جيداً ، رقم (حبيبة) .. فلقد اتفق معها أن لا يذهبا للكلية هـــذا اليـــوم ويجلسا ليتحدثا مع بعضهما إلى أن يأتي والدها من عمله

لقد نس كل شيء يتعلق بالمخطوطة وهو يمـــسك سماعـــة الهاتف منتظراً أن ترفع (حبيبه) السماعة من الجانب الأخر ، لم يبق في عقله إلا صوتها الرقيق الذي يحمله حمـــلاً إلى عـــوالم أخرى ، ووجهها الذي يرتسم دائماً أمامه بابتسامتها الرقيقة ، التي دائماً ما تحمل بعض الخجل .

صوت (حبيبة) المليء بالنعاس والذي أضفى على صـــوتها الرقيق سحراً أخر يأتيه قائلاً :

- " ألو "

- " صباح الخير "

ضحكت (حبيبة) ضحكة خفيفة وهي تقول :

- " ما الذي أيقظك باكراً هكذا "

- " قلت في نفسي كيف أفوت لحظة واحدة لا أستمع فيها لصوتك ؟ فتبعت القول بالفعل "

ضحكت من كلماته ، ثم بدأ صوتها يضيع منه أثـر النـوم وهي تقول

- " أصدقك أصدقك ، لكن قل لي مـا الـذي أيقظـك هكذا؟؟ فأنت من أعداء الاستيقاظ المبكر منذ سنين "

- " مكالمة من صديقي (مصطفى) "

- " خيراً "

- " سيأتي هو وباقي الشلة اليوم إلى الشقة عندي لـنجلس قليلاً نتسامر "

فردت عليه بشك :

- " الشلة ؟ اليوم !! وأنت قلت لي أمـس أن شـقيقتك ووالدتك ستكون في البلـد !! مـاذا سـتفعلون اليـوم يـا (يوسف)؟"

قهقه (يوسف) ضاحكاً وقال :

- " لا تخافي سنجلس نتسامر فقط "

- " أرجوك يا (يوسف) أن تقـول لي الحقيقـة ، هـل ستفعلون أشياء كالتي يفعلها الشباب ؟؟؟ "

- " شباب ؟؟ وهل نحن عجائز ، لا تخافي سنجلس جميعاً لنناقش موضوع المخطوطة وماذا سأفعل بها "

- " ألم تكن قد أنهيته أمس ؟؟ "

- " لا يمكنني التخلص بهذه السهولة من المخطوطة .. يجب أن أتأنى قبل كل شيء "

- " على سيرة المخطوطة ، لقد حلمت أول أمس حلماً لم أحكيه لك ، لأني لا أريد إزعاجك "

- " حلم ؟ حلم ماذا ؟؟ "

- " لم يكن حلماً بل كان كابوساً ، لقد رأيت نفسي وأنا أقف على جزيرة في وسط الماء ، وهناك مقعد تحيط به النيران ، ويقف أمامه أربعة رجال مكبلين بالسلاسل ، وفجأة ذاب جلد الأربعة ، ثم رأيت نفسي أذوب أنا الأخرى مثلهم ، وعندما استيقظت وجدت جسدي ساخن كأنه خرج من الموقد منذ قليل ، (يوسف) هل أنت معي ....!!! لماذا لا أسمع سوى صوت أنفاسك ؟ هل ضايقك كلامي يا حبيبي ؟ "

***

نكذب إن قلنا أن (يوسف) اندهش ، ربما قد تعود على الاندهاش هذه الأيام فلم تهز المفاجأة فيه شعرة ، وربما كانت المفاجأة من القوة بحيث جعلته لا يندهش ، ولكنه كان متأكداً

من أنه لم يقول تفاصيل هذا الكابوس لأي شخص ، إذن فقد رأت (حبيبة) نسخة من الحلم !!

- " اسمعيني يا (حبيبة) هل استيقظتي بعد هذا الكابوس "

- " نعم استيقظت وظللت مدة جالسة لأن النوم قد رحل من عيني "

- " هل كانت الساعة حوالي الثانية ؟؟ "

ردت (حبيبة) باندهاش

- " كانت الثانية وخمس دقائق ، ولكن من قال لك الساعة في ذلك التوقيت ؟؟؟ "

- " هل كان المقعد في الحلم مطعم في جوانبه بالذهب "

- " ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

- " هل سمعتي صوتاً قوياً يردد كلمات كثيرة لا تفهمين معناها ؟ "

- " من قال لك كل تلك التفاصيل ؟؟ بالفعل كان الكرسي مطعم بالذهب ، وهناك صوت ردد كلمات بلغه لم أفهمها ؟ من فضلك فسر لي كيف عرفت "

- " عرفت كل هذا ببساطة لأني حلمت بذلك الكابوس في نفس التوقيت تقريباً ، وبنفس التفاصيل "

كان الاثنان مندهشان بكل ما تحمل الكلمة من معنى ، ولكن (يوسف) أقل دهشة من (حبيبه) ، فهو قد تأكد الآن أن الأمر خارج عن نطاق المألوف .

- " (حبيبة) .. إن الأمر يتعلق بمخطوطة بن إسحاق "

فردت حبيبة وأثار الدهشة مازالت في صوتها

- " ربما لأنك رويت لي قصة المخطوطة ، فتخيلت ذلك الحلم من عقلي الباطن "

- " أنا لم أقل لك على نص الكلمات ، اسمعي ، الكلمات التي سمعتيها في الحلم هي الكلمات الموجودة في نص المخطوطة الأصلية ، ولا يمكن أن يكون عقلك الباطن قد جعلك تتخيلينها بدون أن تسمعيها مسبقاً ، ثم كيف نحلم نحن الاثنان في نفس التوقيت بنفس الحلم ، مع فارق أنني في نهاية الحلم قد ذاب جسدي أنا ، وأنتِ في نهاية حلمك قد ذاب جسدك أنت؟:

- " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنا خائفة يا (يوسف)"
- " لا تخاف ... ولكن هل حلمتِ ليلة البارحة بكابوس أخر؟"

- " لا أعتقد أني أذكر أي حلم حلمته الليلة السابقة ، ولكن لماذا تسأل ؟ "

- " لأني حلمت بكابوس أخر ، ولكن له طابع غريب "

كان (يوسف) يتذكر الكابوس جيداً ، لكنه لم يفهمه ، ولم يهتم بتحليله أو حتى التفكير فيه مرة أخرى ، ولكن يبدوا أنه عندما تذكره ، تذكر شيئاً معيناً فيه

- " دقيقة يا (حبيبة) وأعود مرة أخرى "

لقد تذكر أنه في حلمه قد رأى الرجل وهو يردد بعض الأسماء الغريبة ، ولكنه متأكد من أنه قد سمع إحدى تلك الأسماء التي كان الرجل يعوذ بها ، فجاء في باله على الفور المخطوطة ..

ذهب إلى درج مكتبه ليفتح أول درج ويخرج المخطوطة ، ونزل بعينه يبحث في أسماء الأربعة أو أي اسم أخر فلم يجد شيئاً مألوفاً

وعندما وقعت عينيه على التعويذة تذكر ما هو الاسم الذي سمعه قبل ذلك

***

يا من تسمعون في وادي القرنيم بحق سيدكم وبحق مقبلكم
فكوا قيد بن ذاعات فكوا قيد بن ذاعات فكوا قيد بن ذاعات
فيدعاهاط موسماعل بق حتى إذا أحضرتم أحرقكم المولى بحق
وصيل مشموهوه شرطيائيل موهوقمي نوخيشما هدار مخليي

أعوذ بكم يا أهل وادي الجن ، أعوذ بالملك الأحمر ، وأعوذ بسمسائيل ، وأعوذ بالمخلبي بن ذاعات ، وأعوذ بسيد وادي العداه وسيد وادي القرنيم

***

كان قد ميز (يوسف) بين الكلمات التي سمعها في حلمه ، والكلمات الموجودة في المخطوطة ، فهذا الحلم تذكره سهل جداً ، لأنه يجعله كأنه شاهد فيلم سينما منذ ساعات قليلة فيمكنه أن يستعيد أحداثه بشيء من الجهد

الكلمات التي قالها الرجل في حلمه

سمسائيل

المخلبي بن ذاعات

وادي القرنيم

والكلمات المشابهة لها في المخطوطة

بن ذاعات

المخلبي

سمسائيل

واد القرنيم

إذن هذه هي الكلمات المشابهة بين الحلم والمخطوطة !!!
ولكن في المخطوطة مكتوب (بـن ذاعـات) في نـص ، و (المخلبي) في نص أخر ، أما الحلم فإن الرجل ذكر أن هـذا اسم شخص وأن اسمه (المخلبي بن ذاعات) !!!

لو كان عقله هو من ركب له هذا الحلم ، عن طريق تخزين معلومات من المخطوطة ، فلا يمكن له أن يركب اسماً كاسم (المخلبي بن ذاعات) ، لأنه هو نفسه لم يلاحظ أو يفهم أن المخلبي بن ذاعات هذا اسم !!

كانت تلك الخواطر تدور في عقله وهـو يتجـه سـريعاً ليمسك سماعه الهاتف ويقول :

- " أعتذر على التأخير ، كنت أبحث عن المخطوطة "

- " لا عليك ، ولكن لماذا تبحث عنها ؟ وما هـو الحلم الذي رأيته ليلة البارحة "

- " في الحقيقة أنا أبحث عن المخطوطة لأفسر الحلم الـذي رأيته البارحة "

- " ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

- " لأن الحلم الذي رأيته كان في مكان يشبه الصحراء ، وهناك قافلة تسير ويحرسها بعض الأشخاص ، وفجأة رفع أحد حراس القافلة يده وظل يعوذ بأسماء ملوك الجن من شرهم "

– " ملوك الجن!! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ولكن ما معنى يعوذ "

– " أنت تعوذني الآن عندما قلتِ (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، فنحن نعوذ بالله ، أي نستعين بالله من شر الشيطان الرجيم كي يعيننا عليه ، أما هذا الرجل فكان يستعين بملـــوك الجن لحماية قافلته ، والاستعاذة بغير الله هي كفر بالطبع "

– " أعوذ بالله .. ولكن ما دور المخطوطة في تفسير ذلـــك الحلم ؟ "

– " الرجل الذي تعوذ في الحلم بأسماء لملوك الجان ، قـــال أسماء معينة ، هذه الأسماء وجدت أنها موجودة في المخطوطـــة لكن ليست مباشرة كما قال الرجل ، ببساطة أكثر الحلم ذكر أسماء موجودة في المخطوطة لكنها متفرقة في عدة أمـــاكن في النصوص "

– " وما معنى هذا ... ؟؟ "

– " لا أعلم !! لكنها رسالة ما ، رسالة لم أفهم مـــضمونها حتى الآن !! "

– " وماذا ستفعل ؟؟ "

– " لا أعرف لكن بدأت أخاف .. أشعر بأني أسير لشيء ما "

- " (يوسف) بالله عليك اترك هذا الموضوع وتخلص من المخطوطة ، فقد بدأت أشعر بانقباض شديد منها "

- " الليلة سأنهي كل شيء صدقيني "

لقد كان (يوسف) يمني نفسه بأن ينس كل شـــيء عـــن المخطوطة وهو يتحدث مع (حبيبة) ، كان يأمل أن تأخـــذه كلماتها إلى عالم رومانسي أخر لا وجود فيه لوديان الجـــان ، ولا (إبن إسحاق) ولا القوافل الليلية التي تستعين في حمايتـــها بحراس من الجان .. لكن انقلب الحديث مرة أخـــرى ليعـــود لمخطوطة بن إسحاق مرة أخرى

- " ماذا تقصد بكلمه الليلة ستنهي كل شيء ؟؟ "

- " أقصد أنني سأجتمع أنا وأصدقائي الليلة ، (إســـلام) و (محمود) و (مـــصطفى) و (أحمـــد) و (حامـــد) ، وسننهي موضوع المخطوطة الليلة ، حتى ولو كانـــت النهايـــة بحرقها "

- " (يوسف) حاذر على حياتك ، فأنا أريدك حي "

- " لا تخافي ، ولكن بعد كل تلك الأشياء التي رأيتها ، إذا كنت تخططين للزواج مني فلا تفكري في الأطفال "

ارتفعت ضحكة (حبيبة) في أذن (يوسف) لتجعله يبتسم لقد بددت ضحكتها جو التوتر الذي ساد المحادثة منذ قليل

- " (يوسف) ، سأضطر الآن لغلق السماعة .. أسمع أحدهم يفتح باب الشقة ، ربما كان أخي ، سلام مؤقت "

أغلقت (حبيبة) السماعة ، وعلى الجانب الأخر (يوسف) يلعن ويسب الشخص الذي قطع حديثهم

***

١٢– هيا لنجتمع

- " السلام عليكم "

- " وعليكم السلام "

- " (حامد) موجود ؟ "

- " نعم ، من معي؟ "

- " (يوسف) "

- " لحظة واحدة "

- " الو "

- " (حامد) ، كيف حالك يا شقي "

- " أبو (يوسف) هل مازلت حياً ،كيف هي أحوالك؟؟"

- " الحمد لله ، ما أخر أخبار الصياعة وأخبار الشقاوة ؟ "

قهقة (حامد) ــ المهييس ــ بصوت عال وقال :

- " تم تدعيم الصياعة منذ يومين ، ولكن ما أخبار الجماعة؟"

وهنا يقصد (حامد) بكلمه الجماعة (حبيبة)

- " كويسين الحمد لله ، أريدك في خدمه صغيرة "

- " تحت أمرك .. هل تريد سيجارة بـــالجو أم حـــشيش بالحنة؟"

- " خيبك الله ، أنا أتكلم بجديه ، أريدك الليلة أنت وباقي الشلة ، نتسامر ونجلس سوياً "

- " لكني مشغول الليلة ، سألعب في الدور قبل النهائي في دوره البلاي ستيشن "

- " أعصابي !!! اترك دوره البلاي ستيشن الليلة لأجلـــي فقط "

- " سأحاول ولكني لا أعدك ، فتصفيات الليلة ســتؤهل للدور النهائي بين منتخب شباب (شبرا مـــصر) ومنتخـــب شباب (شبرا الخيمة) ، ويجب أن لا أتخلى عن فريقي "

- " ولأي فريق فيهما تنتمي ؟؟؟؟ "

- " منتخب شباب (أبو أتاتا) نياهاهاهاهاهاهاهاها "

- " (حامد) ، ستأتي الليلة بـــلا مناقـــشة ، ولا تتعـــب أعصابي بمزارك السخيف هذا ، موعدنا عندي في الشقة بعـــد صلاه العشاء "

- " تقبل الله "

- " منا ومنكم يا خفيف "

– " أقابلك الليلة إذن بعد صلاه العشاء في العوامة يا سـي السيد "

– " سلام يا (حامد) ، فإن أعصابي لن تتحمل خفة دمك أكثر من ذلك "

***

نص رسالة أرسلها (يوسف) إلى صديقة (إسلام) علـى هاتفه المحمول :

اسلام أريدك أنت و أحمد عبد الحميد الليلة في الشقة عندي بعد صلاه العشاء . سنتقابل جميعا بما فينا حامـد ومـصطفى ومحمود . لا تنسى التأكيد على محمود . انتظركم

***

الساعة (السابعة) ليلاً في منزل (يوسف)

٢٢ / ١

الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر

أشهد أن لا اله إلا الله ...... أشهد أن لا اله إلا الله

أشهد أن محمد رسول الله .....أشهد أن محمد رسول الله

حي على الصلاة ...... حي على الصلاة

حي على الفلاح .... حي على الفلاح

الله أكبر . الله أكبر

لا اله إلا الله

كان هذا آذان العشاء من المسجد المجاور لـــ (يوسف) ، ولكنه لم يسمع سوى أخره لأنه كان يغط في النوم من قبـــل صلاه المغرب عندما شعر بالإجهاد ، وحتى يكون متيقظ أثناء وجود أصدقاءه ليلاً

فقام من نومه وهو ينظر لهاتفه المحمول ليرى كم الـــساعة ؟ رباه لقد ضاعت منه صلاه المغرب !!

قام جرياً إلى الحمام ليتوضأ ليلحق الصلاة في المسجد .

ثم خرج من منزله مهرولاً

نحن الان نجلس في المسجد الذي يصلي فيـــه (يوســـف) دائماً انتهت صلاه العشاء وبدأ المصلين في المغـــادرة ولكـــن (يوسف) ذهب إلى الامام :

- " السلام عليكم ورحمة الله وبركاتة "

- " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاتة (يوسف) ..؟ ما أخبارك يا صديقي "

كانت تلك العبارة من الشيخ (محمد) الذي ابتسم بمجرد رؤيه (يوسف)

- " هناك موضوع أريد أن أخبرك به يا شيخ ، لا أعـــرف لكني أشعر أنني يجب أن أخبرك أنت بكل شيء عن الموضـــوع لسبب لا أعلمه "

- " تفضل يا (يوسف) ماذا هناك ؟؟؟ "

أخذ الاثنين أحد أركان المسجد ثم بدأ (يوسف) في شرح كل شيء عن المخطوطة بتفاصيلها التي قابلته منذ أن وجـــدها إلى أن بحث عنها وأخبر أصدقائه بها وحتى حادثة سور الأزبكية التي لم يجد الكشك بها ، ثم ذهابه لـــ (عماد)

في هذه المرة روى (يوسف) كل جوانب القصة بـــلا أي حذف ، كان الشيخ ينظر له مذهولاً لا يعلم كيف ينطـــق أو ماذا يقول !!!!!

الساعة (السادسة والنصف) في منزل (إسلام)

٢٢ / ١

(إسلام) يجلس أمام شاشة الكومبيوتر ، بجـواره يجلـس (أحمد) وهما يتحدثان

- " هل تعتقد أن (يوسف) قد توصل لشيء بخـصوص موضوع المخطوطة ؟؟ "

كانت تلك العبارة من (إسلام)

- " لا أعرف ولكن الموضوع نفسه شائك ، وخاصة بعـد أن قابلت اليوم (مصطفى) وأخبرني أن أحد أسـاتذة قـسم التاريخ قد قال ببطلان تلك القصة "

لم يكن (أحمد) يريد أن يخبر (إسلام) عن موضوع لقاء خاله هذا قبل أن يخبره هو (يوسف) فربما كان (يوسف) لا يريد أن يعلم أحد بهذا الموضوع

- " ومع ذلك نحن لم نعرف بعد ما توصل له (يوسـف) عندما ذهب لسور الأزبكية ، فربما وصل إلى طـرف خـيط بخصوص المخطوطة "

- " ربما توصل لشيء .. ولكـنني منقـبض مـن تلـك المخطوطة بدرجة لا تتخيلها "

- " ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

أعتدل (أحمد) في جلسته وبدأ يتكلم

- " هل تعرف ، إن تلك المخطوطة لها تأثير كبير على نفسي ، فبالرغم من أني لم أكن أصدقها منذ أن حكى لنا (يوسف) كيف اشتراها ، لكن يبدو أن عقلي قد تأثر بها جداً "

- " ماذا تقصد ؟ "

- " لقد حلمت أول أمس بكابوس رهيب ، أنني أقف على يابسة في المياه وأمامي أربعة رجال مكبلين من أيديهم وأرجلهم بالسلاسل ، ووجوههم تذوب بفعل السخونة التي لم أعلم مصدرها ، وفي نهاية الكابوس ذاب جسدي من السخونة مثلهم "

كان (إسلام) منشغلاً بشيء ما على الكومبيوتر ، ولكنه بمجرد سماع الكابوس الذي رواه (أحمد) توقفت عيناه في محجريهما ثم نظر ببطء إلى (أحمد) !!!

إن الكابوس الذي يصفه (أحمد) قد شاهده هو نفسه أول أمس أثناء نومه !!!!

***

لقد رأى الأربعة المكبلين بالسلاسل وهم يعرقون بغـــزارة ، ثم يصعد دخان من أجسادهم ، لماذا يـــصعد الـــدخان مـــن أجسادهم ؟ لأن وجوههم تذوب بالطبع ، كان مشهد مـــثير للاشمئزاز أكثر من كونه مرعباً وجوههم تذوب وتتحول لسائل لزج يتساقط على الأرض ببطء

***

الساعة (الثامنة إلا الربع) أمام باب شقة (يوسف)

١ / ٢٢

الآن (يوسف) يفتح باب الشقة ليدلف إليهـــا بهـــدوء ، ولكن مهلاً .. نسيت أن أصف لك الشقة من الداخل

هي شقة .. تتكون من صـــالة واســـعة وثـــلاث غـــرف و صالون ، نسيت أن أقول لك أن المـــترل الـــذي يـــسكنه (يوسف) يتكون من خمس طوابق ، وشقته تحتـــل الطـــابق الثالث ، نسيت أيضاً أن أقول أن ذلك المترل بالكامل يـــسمى (مترل عائلي) أي أن جميع طوابقه تسكنه عائلـــة واحـــدة ، وهذا هو ما كان

فعائلة والد (يوسف) يحتلون الدور الأول والثاني والثالث والرابع ، أما الطابق الخامس فقد بناه والد (يوسف) ليجعلـــه شقه ليتزوج فيها ولده

الطابق الخامس يتكون من شقة تم تجهيزها بأشياء بسيطة ، كان (يوسف) يذاكر فيها من وقت لأخر ، وربما جلس بها هو وأصدقائه يثرثرون في أي شيء ، وفي بعض الأحيان كان ينقل إليها جهاز الكومبيوتر ليجلسوا أمامه ويشاهدون أخر الأفلام

الآن قد وصفت لك منزل (يوسف) وشقته ، بقى أن أصف لك (يوسف) نفسه

طوله يتراوح بين الـ ١٨٠ و الـ ١٨٥ .. و ربما كان أطول ، جسده يميل للنحافة

أبيض البشرة ، لا يوجد شيء يميزه ، فليس له شارب ولا لحية ، وعيناه غير مميزة في شيء سوى شيء بسيط أن حواجبه تأخذ شكلا يجعل للعين مظهراً يذكرك بالذئاب _ لو كانت للذئاب حواجب _ عندما تنظر لفريستها قبل الاصطياد ، حتى أن البعض عندما يراه لأول مرة يعتقد أنه ينظر لعيني حيوان مفترس .

أما فمه فكان عادياً لا شيء يميزه ربما قلنا انه يمتلك أنفاً صغيراً نسبياً

نرجع مرة أخرى لصديقنا وهو يفتح باب الشقة ليدلف لداخلها ثم يضيء الأنوار التي أغلقها قبل أن يذهب للمسجد

بدأ (يوسف) في التحضير لجلسة أصدقائه ، فجهز ســتة أكواب فارغة ووضعهم على صينية في المطبخ ، وبجانبهم وضع البراد جاهزاً ليرفعه على النار ، براد واحد لا يكفي لذا أخرج براداً أخر من أحد أرفف المطبخ

بضعه دفقات من معطر للجو ثم أضاء أنوار غرفة الصالون ، إذن كل شيء جاهز للشباب عندما يأتون

***

" الليلة سأنهي كل شيء صدقيني "

***

١٣ – اكتشاف بسيط

عاد (عماد) من مكتبه مجهداً فدخل شقته ولكنة لم يجلس ليستريح بل توجه مباشراً إلى مكتبة ليكمل ما كان يبحثة أمس ليلاً .. فقد ظل طوال الليل يفرض الاحتمالات ويبحــث في الكتب عن شيء يشبة تلك الطريقة التي كتبت بها الكلمــات التي في المخطوطة

لقد تحول المكتب إلى عشة فراخ من كثرة الفوضى ، كتب وأوراق مبعثرة في كل مكان وأقلام هنا وهناك ولكن في جزء صغير كان الورق الذي تركة له (يوسف) كما هو كــي لا يضيع في وسط تلك الفوضى

جلس على المقعد المقابل للمكتب ثم أحضر ورقــه بيــضاء وقلماً وبدأ يفعل عادته القديمة ، حيث يفكر بعقلــه وكلمــا توصل لفكرة صحيحة يدونها على الورقة أو يدون كلمة تــدل على تلك الفكرة وبدأ عقله يفكر بقوة مرة أخرى :

هناك خيوط كثيرة متشابكة لا تقودة إلى شــيء ، فهنــاك مخطوطة تحتوي على كلمات كتب بعضها بالسريانية وبعــضها بالعربية وبعضها تجميع لحروف لا يفهم معناها

الكلمات العربية تدعو لفك قيد شــخص يــدعى (بــن ذاعات) ، ثم هناك دعوة لرجوع جنود المارد لتكوين الجــيش الأعظم !!!

من المستحيل أن تكون تلك الكلمات مخصصة لاستدعاء خادم من الجن فاللهجة توحي بإستدعاء شيء غريب ولا أعتقد أن هذا الشيء إذا تم استدعائه سيهتم بالمال

أما الكلمات السريانية فقد حوت على أسماء من ملوك الجن في العالم القديم هو يعرف اسم أو أثنين من أسماء هؤلاء الملوك لأنه قد قرأ أسمائهم في بعض كتب السحر ، ولكن هناك أسماء لم يسمع بها .

هناك لهجة يعرفها جيداً تسمى القسم وهي لهجة تؤدي للكفر بالطبع ، فقبل بعض الأسماء ذكرت كلمة (بحق) فتحولت اللهجة إلى بحق كذا وكذا ، وهي لهجة يخاطب بها الساحر أنفار الجن العاديين ليفعلوا شيئاً معيناً لأن الساحر عندما يقول بحق الملك كذا فإن خادم الجن يخاف من بطش هذا الملك به

فيفعل ما هو مأمور به إلا في حالات معينة .

الغريب هنا أن هناك ما يدعى وادي القرنيم وهو لم يسمع بهذا الاسم أيضاً ، هناك وديان للجن وعشائرهم لكن أسمائهم مختفية عن الأغلبية وبعضها غير صحيح

رفع (عماد) عينيه من على الورقة لشعوره بألم بسيط في الرأس من كثرة التركيز في الورقة ، عينيه بدأت تتألم هي أيضاً

فقام من المكتب وذهب لغرفة نومه ليخلع العدسات اللاصقة التي يرتديها ثم يرتدي زوج أخر ، قليلون هم من يعرفون أن نظرة ضعيف جداً جداً وأنه أجرى عملية جراحية من قبل بسبب ضعف بصره وأجرى تعديل نظر بالليزك ولكنه يرتدي العدسات أيضاً .

لا أحد يعرف أن ذلك الضعف السريع قد أصابه بعد تلك الليلة التي استطاع ان يرى فيها الجن

ربما هناك عيوب كثيرة لرؤية الجن

***

عاد مرة أخرى لمكتبه ولكنه توقف قبل أن يجلس على المقعد وبدأ يتذكر الكتاب الذي اشتراه من أربع سنوات وكان يتكلم عن الحروف وخواصها أين مكانه .. أين مكانه ؟؟

نعم ها هو ، أخرج (عماد) الكتاب من على أحد الأرفف ثم أخذه معه إلى المكتب وفتحه وبدأ في النظر السريع لصفحاته حتى يجد ضالته ،كتاب أصفر اللون هو ، يتكلم عن الحروف وخدامها وأن لكل حرف خدام ينفذون أوامره الذي إذا أجتمعت بعض الحروف ونطقت فإن الخدام ينفذون أمراً معيناً بلا نقاش ، كما كان هناك طرق قديمة لحبس البشر والعفاريت على السواء بتلك الحروف .

الحروف تكتب على جبينهم مثلاً فيفعل خدامها المأمور به

كأن أكتب مثلاً تلك الحروف على أيدي بشر فتمنعها من التحرك !!!

كذلك فإن التعاويذ بعضها هو مخاطبة للجان والعفاريت وبعضها هو حروف بجمعها تأمر خدام الحروف بفعل شيء معين ، بالطبع الأشياء التي ذكرها الكتاب عن قدرات تلك الحروف ضئيلة جداً

لحظة

رفع (عماد) عينيه وقد بدأت الأفكار تلتحم في رأسه في تسلسل

هناك حلقات مفقودة ولكن يمكن توقعها بشيء من العسر

الكتاب يتكلم عن حروف يمكن أن تسحن بشر أو جان

الكلمات العربية في المخطوطة كانت تدعو لفك قيد (بن ذاعات) !!! ياللهول

هل ما يفكر فية حقيقي ؟

هناك نوعين من التعاويذ كما ذكر الكتاب ، النوع الأول وهو الطلب أو القسم على الجني أو الخادم ليفعل شيء ما

وهو يعرف هذا النوع جيداً ، النوع الثاني وهو الحروف التي تتجمع لتأمر خدام الحروف بشيء معين ، ربما كان فعل معين مثل .. مثل حبس شخص ما

هناك شخص محبوس ، ولكن تلك الكلمات بالتأكيد لم تكن لحبسه بل هي لتحريره على ما يبدوا

ياللهول لقد فهم الآن ، لقد فهم

عندما نطق وقال (بن ذاعات) في المرة السابقة ورأى بعدها عمار المكان من الجن ينظرون له يتعجب ثم دخوله في غيبوية ونقل لعقله الكثير من المشاهد الغريبة .

كان هناك مشهد يمثل كائن مقيد بسلاسل وهو يصرخ وأمامه يقف شيئان لم يتبين ملامحهم يحملون حراب مدببة ويوجهونها ناحيته بتحفز

هذا الشيء هذا الشيء .. هذا الشيء هو :

- " إبن ذاعاااااااااااااات "

لقد نطق (عماد) تلك الكلمة بانتصار وبدون وعي ، يبدوا أن (عماد) مصاب بنوع نادر من التخلف العقلي .. فعند نطق اسمه هذه المرة سمع أصوات صفير شديدة ثم غاب عن الوعي مرة أخرى

١٤ — بداية النهاية

الساعة الثامنة والربع في شقة (يوسف)

١ / ٢٢

تن تن .... تن تن .... تن تن.... دوم دوم دوم

بالطبع لا احتاج لتوضيح أن التن تن هو صوت جرس شقة (يوسف) ، والدوم دوم هو صوت الطرقات على الباب

– " ميييييييييين "

كانت تلك من (يوسف) وهو يتجه إلى بـــاب الـــشقة ليفتحه ، ولكنه كان يعرف مسبقاً أن الطـــارق هـــو أحـــد أصدقائه

– " معك (حامد) من وزارة القوى العاملة ، حان وقت تعيينك لأنك شخص رائع جداً "

قهقه (يوسف) ضاحكاً وهو يفتح الباب ليظهـــر خلفـــه (حامد) بابتسامه بلهاء ، كان يرتدي تي شـــيرت ملتـــصقاً بجسده ، وسروال من الجينز ، وغطاء للرأس شـــبابي (أيـــس كاب)

– " صباح الفل يا ست الكل "

- " أرجو أن توقف تهييسك الليلة لأني لست في البال الرائق لأمثالك "

دخل (حامد) للشقة وهو يبتسم ببلاهة ، ولكن قبل أن يغلق (يوسف) الباب وراءه ظهر على باب الشقة (مصطفى) و (محمود) وهما يصعدان بسرعة حتى يلحقا بباب الشقة قبل أن ينغلق ، فيبدوا أنهم سمعا (يوسف) يتحدث مع (حامد) وهما مازالا في الطابق الأول

- " أهلا أهلا بشباب مصر الواعد "

دخل الاثنان للشقة وأغلق (يوسف) وراءهم الباب ، ثم مشيا جميعاً باتجاه الصالون ، ليجلس الجميع وهم يتبادلون النكات والقفشات القديمة

فتح (يوسف) جهاز الكومبيوتر ليستمعوا لبعض الأغاني

- " يا هلا يا هلا يا شباب "

فرد (مصطفى) باسماً :

- " لقد قلت أنك تريدنا الليلة لمناقشة موضوع المخطوطة ، هل توصلت أنت لشيء فيها "

- " الموضوع سنناقشه بانفتاح أكبر بعد أن يأتي (إسلام) و (أحمد) ، أعتقد أنهم لن يتأخروا "

قال (حامد) بشك وهو ينظر إلى (يوسف) :

- " أعتقد أنك لم تذكر لي شيئاً عن أنك تريدنا الليلة لمناقشة موضوع المخطوفة "

- " تقصد المخطوطة "

- " أياً كانت ، لم تنبهني لذلك ، بل قلت أننا سنجلس سوياً لنتسامر ، أليس كذلك "

- " سامحني هذه المرة ، كنت أحتاج رأيك السديد في مناقشة موضوع المخطوطة معنا ، وأردت أن تأتي بشدة ، لقد فعلت ذلك من قبيل حبي لك ..(أنا بأحبك ليه أنت لا !!!)"

- " وتتركني أضيع على فريقي فرصة الفوز في التصفيات قبل النهائية ، عليك اللعنة ، اغرب عن وجهي .. هذا المنزل محرم عليك إلى يوم الدينونة "

- " اهدأ يا يوسف بك وهي ولا تنسى أن هذا المنزل منزلي"

فقال (محمود) ببراءة :

- " هل أنت مشترك في التصفيات النهائية لفريق لكرة القدم ؟؟ "

اعتدل (حامد) بحماسة ليتكلم مع (محمود) ، ولكن صوت جرس الباب أسكته فذهب (يوسف) ليفتح الباب

ليرى (إسلام) وبجواره (أحمد) يرتديان (ترينج) ، وذلك ليس غريباً أن يحضرا بملابس عادية ، لأنهما يقطنـــان في أخـــر الشارع الذي يقع فيه مترل (يوسف)

- " تفضلاً "

- " احم احم ، يا رب يا ساتر "

- " ادخلا بلا فزلكة ، لا يوجد أحد في الشقة غيرنا "

دخل (إسلام) و (أحمد) إلى الـــصالون ليقـــابلا بقيـــة الأصدقاء الذين أخذوهم بالأحضان والقـــبلات والمـــداعبات الساخرة

- " ثوان وأعود "

كانت تلك من (يوسف) وهو ذاهب إلى المطبخ قبـــل أن يغلق الصالون من خلفه ، وضع برادان الشاي على الموقد ، ثم أضاف السكر إلى الأكواب ، وبعض ملاعق الشاي ، جميـــل لقد بدأت المياه في الغليان ، صب الماء في الأكواب ، ثم أخـــذ الصينية وأتجه بها ببطء ناحية غرفة الصالون

- " أهلاً بالعروسة ، (تعالي) يا شابه لا تخـــافي ، تعـــالي اجلسي بجانب حماتك "

أطلق (حامد) تلك الكلمات وأنفجر ضاحكاً عليها

- " اتركه يا (حامد) فيبدو أنه خجول ، (تعالي سلمي على عريسك) "

رد (أحمد) بتلك العبارة على عبارة (حامد) ، فانفك الجميع في الضحك حتى (يوسف) نفسه ، وكاد أن يوقع صينية الشاي على أحدهم لولا أن الأخر هرب من الخوف .

جلس الجميع على مقاعد الصالون وفي يد كل منهم كوب الشاي الذي يمسكه كل واحد بطريقة غير الأخرى

***

- " حان الوقت لنتكلم فيه بجدية عن تلك المخطوطة ، وسنحاول جميعاً أن نجمع خيوطها في أيدينا لنعرف نهاية تلك المخطوطة "

قال (يوسف) العبارة السابقة وهو ينظر في وجوه أصدقائه ويتفحص نظراتهم

فرد علية (محمود) :

- " أعتقد أن مصطفى أبلغك برأي أحد أساتذة القسم عندنا ؟؟؟ "

فنظر الجميع باتجاه (محمود) بدهشة وهم ينتظرون أن يكمل

فقال (يوسف) :

- " نعم أخبرني ، ولكن يجب أن نحلل الموضوع بهدوء منذ البداية ونعرض جميع الآراء حتى نصل لرأي أستاذ القسم "

فرد (إسلام) :

- " إذن قم بسرد الموضوع كيفما تريد ولكن لي عندك طلب ، أريد أن أرى المخطوطة "

فنهض (يوسف) متجهاً إلى غرفة نومه ، ثم عاد وفي يده المخطوطة ، تلقفتها الأيدي بلهفة وهم يلمسونها وينظرون لها مراراً ، ويتشممونها ، وكأنهم بتلك الطريقة سيعرفون إن كانت أصلية أم لا

- " هل تأكدتم الآن من امتلاكي للمخطوطة "

وكان الرد لـ (مصطفى) و (محمود) وهم يهزون رأسهم مبتسمين ، أما الباقي فقد اكتفى بالنظر للمخطوطة التي وضعوها بجانب الكومبيوتر .

- " والآن لنتكلم منذ البداية ، لقد ذهبت لسور الأزبكية مع (أحمد عادل) أحد القاطنين بشارعنا ، وهناك وجدنا دكاناً صغيراً اشترينا منه بضعه ورقات وعدت بها أنا إلى المترل ، وبعد أن قرأتها بحثت في شبكة الانترنت عن أي شيء عن القصة الموجودة في الورق الذي اشتريته

وكانت المفاجأة هي أنني وجدت معلومات في أكثر من موضوع على الانترنت عن حكاية (إبن إسحاق) الذي سافر لمصر وفي طريقه وجد مدينه أطلق عليها في كتابه كنز الرحلة اسم (مدينه الموتى) ، وكل من في المدينة موتى لسبب لا يعلمه إلا الله ، وفجأة يقابل رجل يدعى (محمد السالمي) وقال له الرجل أنه اللحاد ، ثم يدعوه اللحاد للمبيت معه ويحكي له حكاية غريبة ، عن ساحراً أتى للبلدة ، وطلب أربعة من الرجال الفقراء ليجعلهم أغنياء !!!! وتقدم له الأربعة رجال ، ودخلوا دار الساحر ولكنهم خرجوا وهم أغنياء و لم يخرج معهم الساحر ، ثم يموت أولهم بعد سبعة أيام بعد أن يشكوا من أعراض كثيرة كالحلم المزعج وأعراض أخرى غريبة، ويموت الثاني بعد سبعة أيام أيضاً ، ويموت الثالث بعد نفس المدة وكلهم بنفس الأعراض والتوقيت وطريقة الموت ، ثم يهرب الرابع ولا يعرف أحد مكانه ، وبعد سبع ليال يصيب البلدة مرض غريب يجعلهم يموتون كالذباب ، و لم يبق منهم على قول اللحاد إلا هو ؟

وبعد أن ماتت البلدة بالكامل تم دفنهم ، إلى هنا ينتهي اللحاد من سرد قصته لإبن إسحاق ، ثم يدعو اللحاد (إبن إسحاق) إلى النوم في مترله حتى الصباح ، يستيقظ (إبن إسحاق) ولا يجد اللحاد في الدار ، ولكنه يجد ورقتان كتبهم

اللحاد قبل رحيله الغريب ، والورقتان شرح فيهما اللحاد ما حدث للأربعة رجال داخل دار الساحر ، وفي داخل الورقتان الكلمات التي نطقها الساحر لاستدعاء أحد مردة الجان الذي سيجعل الأربعة فقراء أغنياء .

في نهاية الورقتان يدعو اللحاد (بن إسحاق) للذهاب لمقابر البلدة لقراءة الفاتحة على روح أموات البلدة

ويذهب (إبن إسحاق) إلى المقابر ليجد مفاجأة تنتظره هناك . هناك قبر مكتوب عليه اسم لحاد البلدة أي أن الشخص الذي كان يحدثه كان شخصاً ميتاً منذ سنوات !!

ويهرب (إبن إسحاق) ويعود للقاهرة ، ثم يكتب تلك الحكاية في كتابه (كتر الرحلة) والذي يحرق مع كتابه (غواص اللؤلؤ) بعد أن اعتقد الناس أن (إبن إسحاق) يشتغل بالسحر ، ويظهر على مسرح الأحداث تلميذ لابن إسحاق يدعى (عبد الرحمن بن ابراهيم) ، وهو الذي نقل عن كتاب (كتر الرحلة) رحلته الغريبة إلى مصر في بضعه ورقات ، والتي أعتقد أن تلك الورقات معي الآن بطريقة لا أفهمها ؟

هذه هي المعلومات التي جمعتها من خلال الورق الذي اشتريته ومن خلال الانترنت ، ثم ذهبت للجامعة لأخذ مشورتكم واتفقت مع (مصطفى) و (محمود) ليسألا أحد

أساتذة قسم التاريخ في موضوع حقيقة تلك الحكاية التي تروى عن (إبن إسحاق) ، وفي نفس الوقت ذهبت أنـــا إلى ســـور الأزبكية للبحث عن الشخص الذي باعني المخطوطـــة لأجـــد مفاجأة غير متوقعة تنتظرني وأرجو أن تصدقوني .

لقد وجدت مكان الكشك الذي اشتريت منه الورق أرض خالية بها شجرة مزروعة !!!! وعندما سألت الكشك المجـــاور له ، ووصفت العجوز الذي باع لي الورق ، قـــال لي الرجـــل الذي يقف في الكشك أن هناك رجلاً عجوزاً بهذه المواصفات وكان له كشك مجاور في المنطقة الخالية الآن ، لكنه مات منذ سبعة عشر عاماً "

انطلقت سبة بذيئة من فم (حامد) ، وقـــال (إســـلام) بغضب

- " هل تمزح معنا "

- " اقسم بالله أنا لا أمزح ، يمكنكم التأكد من صـــديقي الذي رافقني لسور الأزبكية ، ويمكـــنكم الـــسؤال في ســـور الأزبكية عن شخص يدعى عم (صبحي) مات منـــذ ســـبعه عشر عاماً "

رد (محمود) بتهكم :

- " إنك الآن تصف قصة رعب ، وربما كان بطلها أنت ، تكلم بكلام عاقل "

- " دعني أكمل واتهمني كما تريد "

- " أكمل "

- " عندما عدت لمنزلي في تلك الليلة التي زرت فيها سور الأزبكية ، ظللت أفكر هل أنا قد جننت ، أم أن ما حدث كان صحيحاً ، إلى أن نمت وحلمت بكابوس رهيب ، حلمت أنني أقف أمام مقعد كبير مطعم بالذهب ، وهناك أربعة رجال مكبلين بالقيود أمامي ، والأربعة رجال بدأ جسدهم يذوب من حرارة لا أدري من أين تأتي "

وقبل أن يكمل (يوسف) الحلم تكهرب الجو

لقد رأى النظرة على وجوه أصدقائه تتبدل إلى الشك ، ثم الفزع ، ولم يكن استنتاج ذلك عسيراً عليه

فقال (يوسف) :

- " سأقول استنتاج أرجو أن أكون وفقت فيه ، أعتقد أن كل شخص منكم حلم بهذا الكابوس ، أول أمس حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل "

هنا قام (حامد) و (أحمد) من مكانهم وهم ينظرون بذهول إلى (يوسف) ، أما الباقين فظلوا ينظرون لبعضهم بدهشة وهم فاغرين الأفواه لا يدرون ماذا يقولون

– " لقد حلمت أول أمس بكابوس رهيب ، أنني أقف على يابسة في المياه وأمامي أربعة رجـال مكـبلين مـن أيـديهم وأرجلهم ، بالسلاسل ، ووجوههم تذوب بفعل السخونة التي لم أعلم مصدرها وفي نهاية الكابوس ذاب جسدي من السخونة مثلهم "

***

– " لم يكن حلم بل كان كابوساً ، لقد رأيت نفسي وأنا أقف على جزيرة في وسط الماء ، وهناك مقعد تحيط به النيران ، ويقف أمامه أربعة رجال مكبلين بالسلاسل ، وفجأة ذاب جلد الأربعة رجال ، ثم رأيت نفسي أذوب أنا الأخـرى مثلـهم ، وعندما استيقظت وجدت جسدي ساخن كأنه خـرج مـن الموقد منذ قليل ، (يوسف) هل أنت معي ....!!! لمـاذا لا أسمع سوى صوت أنفاسك ؟ هل ضايقك كلامي يا حبيبي "

***

المشهد الذي يدور الآن في شقة (يوسف) يصعب علينـا وصفه ، الخمسة أصدقاء في حاله اندهاش كبيرة وكان الصمت هو السيد في تلك اللحظات ، هنا قطع (إسـلام) الـصمت قائلاً بذهول :

– " لقد بدأت أفقد القدرة على التركيز ، أرجوا أن توضح لي كيف حلمنا جميعاً بنفس الحلم وفي نفس الوقت ؟؟؟؟؟؟ "

- " أنا نفسي لا اعلم كيف !! ولكن أعتقد أن الموضـــوع الآن ليس أكذوبة كما يعتقد البعض "

تحركت عين (حامد) ناحية (يوسف) بدهـــشة وهـــو يقول :

- " لكني أقسم أني لم أخبر أحداً ذلك الكابوس .. كيـــف علمت ؟؟ "

- " قلت لك أنني استنتجت "

- " وكيف استنتجت ؟؟ "

- " لأن (حبيبة) زميلتي في الجامعة قـــد أخبرتهـــا عـــن المخطوطة منذ أيام ، وقد قالت لي اليوم أنها حلمت حلم كـــذا و كذا ، وكانت تصف نفس الحلم ، وعندما رويـــت لكـــم الحلـــم ووجدت على وجوهكم الفزع ، فاستنتجت أنكم رأيتم نفس الحلم في نفس التوقيت "

- " وكان استنتاجك صحيح للأسف "

كانت هذه من (أحمد) ، الذي أكمل قائلاً :

- " هل تعرف .. قبل أن نأت إلى هنا أنـــا و (إســـلام) كنت أشكو له من ذلك الكابوس المزعج ، لأفاجأ به يقول أنه حلم بنفس الكابوس !!!! ، وكان الموضوع سيظل سراً بيننـــا

حتى لا يتهمنا البعض بالكذب أو بالخبال ، لكنك تأتي لتقول أنك حلمت نفس الحلم ، بل وجميعنا حلمنا بنفس الشيء هذا هو الجنون بحق ؟!"

في حين قال (مصطفى) :

- " لقد حلمت بهذا الكابوس ، ولكني كتمته في نفسي كي لا يتهمني أحد ما بأنني واسع الخيال ، أو أنني تأثرت بالكلام الذي رواه لنا (يوسف) عن الأربعة الذين تكلم عنهم (إبن إسحاق) !! "

وقف (يوسف) وهو يقول :

- " ببساطة يا شباب .. الأمر الذي نواجهه الآن هو أمر خارج على القوانين الطبيعية ، وجاءت الصدفة التي جعلتني أقابل أنا و (أحمد) شاب يدعى (عماد) ، هو خال (أحمد) وقد أفادنا كثيراً حيث عرض علينا مجموعة من الكتب والمراجع التي تكلمت عن مخطوطة بن إسحاق وعن أن هناك مؤرخين قد تكلموا عنها باستفاضة ولكن لم يصل إلينا إلا القليل ، وطول فترة إختفاءها يعتقد أنها كانت ميراثاً لإحدى عائلات الصعيد يتوارثها الأبناء عن الأباء حتى وصلت لنا بمحض الصدفة "

هنا نظر (إسلام) إلى (أحمد) وهو يقول له :

- " لماذا لم تخبرني من قبل ؟ "

- " فضلت الانتظار حتى يصل خالي إلى شيئاً ما بخصوص تلك المخطوطة فلقد تركنا له نسخة ليحللها ويترجم الكلمات التي تحتويها "

هنا أكمل (يوسف) بسرعة قائلاً :

- " ولأنني أحسست بأنني أحتاج إلى مشورة من هو أقدر مني فقد توجهت في نفس اليوم الذي قابلت فية (عمـــاد) إلى الشيخ (محمد) إمام المسجد القريب "

هنا نظر (مصطفى) و (محمود) لبعضهما كي يعرفا من هو هذا الشيخ ، فقال (إسلام) :

- " أنا أعرف الشيخ (محمد عبد الفتاح) جيداً أليس هـــو الذي يقطن قرب محطة البترين ؟؟؟ "

- " نعم هو بالضبط "

ثم أكمل (يوسف) قائلاً :

- " ذهبت له للمسجد لأحدثه عن بعض قضايا الجـــن ثم ذهبت معه لمترله وتكلمنا كثيراً وشرح لي الكثير والكثير عـــن عالم الجن وقوانينه واتصاله بعالم البشر وفهمت على يده الكثير والكثير ويبدو أنه قد جرت أقدامنا في مسالة أقوى منا بمراحل، وأعتقد صدقاً ان تلك المخطوطة هي مفتاح لعالم الجن ، أو إذا

أردنا التحديد هي مفتاح لبوابات معينة في عالم الجن لم نكون فكرة كاملة عنها "

سكت الجميع لحظات بعد انتهاء كلمات (يوسف) حتى تكلم (إسلام) وقال :

– " أعتقد أنني كونت فكرة لا بأس بها عن الموضوع من كلام (يوسف) وأعتقد أنه يمكنني تحليل بضعه أمور

أولاً : نحن نمتلك المخطوطة ، ونمتلك أيضاً شهادة صديق (يوسف) الذي رافقه لسور الأزبكية ، ونمتلك وصفاً للكشك والرجل الذي اشترى منه المخطوطة ، إذن فذلك يعني أن (يوسف) قد اشترى المخطوطة بالفعل من المكان الذي وصفه ، ولكن باكتشاف (يوسف) أن لا وجود للكشك في ذلك المكان وأن الرجل الذي وصفه لصاحب الكشك المجاور قد مات منذ سبعة عشر عاماً ، ذلك يعني أن (يوسف) قد قابل رجل ميت !!!! وهذا الرجل الميت قد باعه مخطوطة نادرة جداً كما تقول المعلومات

ثانياً : (يوسف) لم يخبر أحداً عن المخطوطة إلا وقد جاءه نفس الكابوس في نفس التوقيت تقريباً !! (محمود) ، (أنا) ، (مصطفى) ، (أحمد) ، (حامد) ، (حبيبة) ، كلنا نشترك في شيء واحد ، أن (يوسف) قد حكى لنا عن حكاية تلك المخطوطة

إذن تلك تعتبر رسالة لنا جميعاً ، رسالة لا أعتقد أنني اعرف حل شفرتها !! "

هنا قطع (يوسف) كلام (إسلام) قائلاً

- " هناك سؤال نسيت أن أسألكم إياه ، هل حلم أحـــد منكم أمس بحلم غريب ؟؟؟ "

- " لا "

- " لا "

- " لا "

- " لا أذكر "

- " وأنا أيضاً "

جاءت تلك الإجابات من أصــدقاء (يوســف) لــتعلن بوضوح أن الحلم الأخير الذي حلم به أمس لم يره غيره !!!

- " لماذا تسأل ، هل حلمت أنت بشيء ؟؟ "

وهنا روى لهم (يوسف) الحلم كاملاً ، ثم ذهــب ليــأتي بورقة ليخط عليها الأسماء التي سمعها في حلمه ، والأسماء الــتي تشابهت معها في المخطوطة ، حتى نظر الجميع له وهم يسألون بنظراتهم ماذا يعني كل هذا ؟؟؟؟

هنا تكلم (يوسف) :

- " للأسف أنا لم أفلح بعد في الربط بين كل هذه الأشياء ، ولكن تظل هناك أسئلة بلا أجوبة !!!! مثل أن المخطوطة لم تذكر كيف هرب الرجل الرابع وهل مات بنفس الطريقة التي مات بها الثلاثة أم نجا ؟ وهل كان خروجه من البلدة سبباً في موت أهلها ؟ ثم لماذا يموت الرجال أصلاً بعد أن أصبحوا أغنياء ؟ "

تنحنح (مصطفى) ثم قال في إحراج :

- " لا تنسى رأي أستاذ التاريخ عندما قال لا وجود لتلك المخطوطة يا (يوسف) "

فقال (إسلام) :

- " ماذا ؟؟ "

فرد عليه (محمود) قائلاً :

- " أعتقد أن المخطوطة مليئة بالثغرات ، هذا غير أن الحكايات التي كتبت عنها على الانترنت كلها تتحدث عن المخطوطة على اعتبار أنها أسطورة ، ثم يأتي رأي أحد كبار أساتذة التاريخ الإسلامي في قسمنا لينفي كل وجود لتلك المخطوطة "

هنا نظر (يوسف) إلى (محمود) و (مصطفى) وهـــو يقول :

- " وماذا عن الكوابيس ، والرجل الميت ، والكـــثير مـــن الأشياء التي تحيط بالمخطوطة "

- " لا أعلم ولكني مقتنع بعدم وجود تلك المخطوطة "

أمسك (يوسف) بالمخطوطة ثم نظر إلى وجوه أصـــدقائه وقال :

- " استمعوا لي ، لقد نويت أن أترك تلك المخطوطة لأي شخص يريدها منكم ، فأنا قد ثقل علي حملها ، ومن يريـــدها يأخذها ويفعل بها ما يشاء ، يحرقها أو يبيعهـــا أو يـــدمرها لا أريدها بعد الآن "

كان سكوت أصدقائه دلاله على رفضهم لامـــتلاك تلـــك المخطوطة ،ولكن (إسلام) مد يده ناحية (يوسف) قائلاً :

- " سأحتفظ بها يا (يوسف) ولكـــن لبحثهـــا ولـــيس للذكرى "

- " وأنا موافق .. تفضل "

سلم (يوسف) الورق لـــ (إسلام)

- " ولكن هل توجد نسخة أخرى لها "

– " بالطبع لم أنس ذلك ، لقد أدخلتـــها علـــى جهـــاز الكومبيوتر الخاص بي عن طريق الماسح الضوئي، وهناك نسخة مطبوعة عن طريق الكومبيوتر في مترل (عماد) ليحللها ، هذا غير أني خطت في ورق خارجي نص المخطوطة نفسها لتكون تحت يدي إذا فقدت المخطوطة الأصلية "

هنا قال (مصطفى) بعناد :

– " أمازلتم تعتقدون في صحتها !! "

– " نعم يا مصطفى مازلنا نعتقد ، أو على أقـــل تقـــدير نحترمها "

أبويا أتحرق هيييييييييه ولا يا منـــصور ... أيـــوه يـــا مرسي ... مبروك ياد .... الله يخليك يا سيدي عقبال والـــدك يا سيدي .. في حياتك إن شاء الله *

خرجت العبارة السابقة من هاتف (إسلام) المحمـــول ، فأمسكه سريعاً ليرد قائلاً :

" ألو .. نعم أنا عند صـــديقي الآن ، لا يمكـــن أن أتي ، ماذا؟؟؟ دقائق وأكون في المترل "

نهض (إسلام) بعد أن أنهى المكالمة وعلى وجهه علامـــات القلق

" أعتذر يا جماعه ، اهم يحتاجون لي في المترل الآن لظـــرف هام "

فنهض الجميع قلقين مثله :

- " خيراً ماذا حدث "

- " لا عليكم يا شباب ، إنها شقيقتي تقول بأنها تحتــاجني حالاً في المترل لتعطيني شيئاً ، سأذهب الآن ولنتقابل غـــداً في الكلية "

حياه الجميع ، ثم أوصله (يوسف) لباب الشقة ، و لم ينس أن يعطيه المخطوطة في يده قبل أن يرحل

***

عاد يوسف مرة أخرى إلى أصدقائه ، وظل يفكـــر وهـــو جالس بجانبهم في تطور موضوع المخطوطة ، وكيف أن الشيخ علم الليلة بكل شيء عن المخطوطة وهل سيحلم هـــو أيـــضاً بالكابوس كالبقية أم ماذا ؟ لقد أعطى المخطوطة لإسلام وهو يشعر بأن الهم قد انزاح عندما تخلص منها ، لكنه مازال يشعر بالغيظ الشديد ، الغيظ من أنه عاجز عن تفسير أي شيء مـــن الأشياء التي يراها حوله ، لقد أخفى بعض التفاصيل الـــصغيرة التي لم يفهم لما لم يذكرها لاصدقائه !!! و لم يـــذكر مقابلتـــه

الثانية مع الشيخ الذي أخبره فيها بكل شيء لسبب لا يعلمه ، ولا بعض التفاصيل الأخرى في المخطوطة .

- " (يوسف) هناك كلمات ترددت بصوت جهوري في الحلم الذي رأيته ، هل ترددت تلك الكلمات في حلمك أنت أيضاً ؟؟ "

كانت تلك من (حامد) وهو ينظر إلى (يوسف) :

فاعتدل (يوسف) ببطء وهو ينظر له مفكراً ويقول :

- " نعم ترددت في حلمي ، وأعتقد أنها أيضاً ترددت في حلم الباقين "

فوافقه الباقيين بإيماءة منهم

- " إن تلك الكلمات هي الكلمات التي ذكرت في المخطوطة ، عندما نطقها الأربعة فقراء ليحضر خادم الجن ليجعلهم أغنياء "

هنا قال (محمود) وهو يبتسم :

- " ولكن كل هذه الأشياء خرافات برغم كل شيء "

فنظر له (مصطفى) وقال وهو يهز رأسه بالموافقة :

- " أوافقك يا (محمود) ، فتلك الحكاية بنيت من أصلها على خرافة قديمة وهي خرافه تسخير الجن "

فقال (يوسف) بهدوء :

– " ولكني مؤمن بإمكانية تسخير الجان ، ومؤمن بإمكانية تأثير الجان في حياتنا "

قهقه (حامد) ضاحكاً وهو يقول :

– " إن السحر والجان والعفاريت كلها خرافات ، فلو كان هناك تأثير للجان لظهر في حياتنا منذ زمن ، ليس معنى أننا وجدنا ورقاً يتحدث عن جان وعفاريت أهم موجودون بالفعل، لقد بدأت الآن أؤمن أن تلك المخطوطة ليس لها أساس من الصحة "

ظهر الغضب على وجهه (يوسف) وهو ينظر إلى أصدقائه

– " اسمعوني ، كل ما أبحث عنه هو صدق هذه المخطوطة ، ربما تكون صادقة وربما تكون كاذبة ، لكني واثق أن الموضوع خارج عن النطاق الطبيعي ، ما تفسيركم للأحلام التي راودتنا جميعاً ؟ "

فقال (محمود) :

– " قرأت أنه ربما يكون هناك اتصال عقلي بين شخصين أو أكثر ، ربما كان هذا أحد أنواع الاتصال العقلي بيننا "

– " محاولة تفسير فاشلة ، فلماذا يكون الاتصال العقلي بين من أخبرهم عن المخطوطة فقط "

- " لا أعرف لكني لا أقبل التكلم في موضوع العفاريت هذا ، ولا تقنعني أني إذا رددت تلك الكلمات سأسخر الجن فهذا ما لا يعقل "

هنا قال (حامد) ساخراً :

- " فيدعاهاط موسماعل بق حق اذا أحضرتم أحرقكم المولى بحق وصيل مشموهوه .. عفركوش عفركوش خش عليه خش عليه .. غريبة ...!! لم يأتني أحداً من الجن "

فرد (يوسف) غاضباً :

- " كفاك سخرية ، أنت لا تعرف قيمة ما تقول "

- " بل أعرف أن تلك الكلمات بلا قيمة ، ما رأيك لو رددتها لك كلها لأثبت لك أنها بلا فائدة كم ستعطيني ؟؟؟ "

فقال (مصطفى) :

- " تعقل يا (حامد) ، هذا ليس ميداناً للمبارزة "

- " أعرف لكني متأكد من موقفي ولن يزحزح موقفي شيئاً "

كانت نبرات التحدي في صوت (حامد) واضحة للكل ولكن لم يجرؤ أن يعترض عليه أحد من أصدقاء (يوسف) لأنهم كانوا مؤمنين بكلامه ، لكن (يوسف) هو من نطق

- " يبدو يا (حامد) أنك متمسك برأيك والذي هو رأي باقي الشباب ، وأنا أريد أن أثبت لكم أن المخطوطة ربما تكون صحيحة ولو ١ % وأنت تريد أن تقول أن الكلمات التي بها هي خرافة ، ربما كنت صحيحاً ، ولكن تظل الحقيقة مجهولة لنا جميعاً لأنه لا توجد طريقة للإثبات "

فرد (حامد) سريعاً :

- " بل توجد طريقة للإثبات "

هنا نظر (يوسف) إلى عين (حامد) بشك قائلاً :

- " وما هي ؟؟؟؟؟؟؟ "

- " لو ثبتت صحة الكلمات الموجودة في المخطوطة والتي تسخر الجن ، لأمكننا إثبات صدق باقي حكاية المخطوطة ، أما لو أثبتت فشلها .. لأثبتنا كذب حكاية المخطوطة "

- " وضح مقصدك ؟؟ "

- " سنفعل كما فعل الساحر مع الأربع شباب ، سنقول الكلمات التي رددوها ، ولو حدث شيئاً تكون المخطوطة صحيحة ، ولو لم يحدث شيئاً ينتهي موضوعها وتصبح خرافه أخرى "

كانت نظرات الدهشة تحيط به من أصدقائه وهو يقول اقتراحه

- " أسلوبك هذا يذكرني بالشخص الذي يفحص قنبلة للتأكد من صلاحيتها للاستعمال !!! "

كانت تلك العبارة من (مصطفى)

- " نعم ولكنك مؤمن معي بأن القنبلة لن تنفجر ، فلماذا لا أثبت للجميع أنها قنبلة مزيفة "

جاء صوت (يوسف) وكأنه يأتي من بئر سحيق :

- " موافق "

فقال (محمود) مستنكراً :

- " لا يمكن أن أوافق على هذه التخاريف "

فرد عليه (يوسف) وقد ظهرت عليه علامات الهدوء :

- " ألست مؤمناً أن تلك الكلمات لا تنفع ولا تضر ،إذن فلتجرب فلن يأخذ الموضوع منك سوى بضعه دقائق "

ساد الصمت بضعه ثوان حتى قطعه (يوسف) وهو ينهض ليحضر ورقاً من مكتبه ، وجلس أمام عيونهم الصامتة وهو ينقل من نص المخطوطة في يده الذي نقله قبل أن يعطي المخطوطة لإسلام ، كان ينقل في كل ورقة نفس العبارات

- " ماذا تفعل ؟؟؟ "

- " ألا تريدون التجربة ، في المخطوطة جلس أربعه أفـراد حول شمعه ليرددوا كلمات حفظوها ، لذلك كتبـت تلـك الكلمات التي رددوها على أربع قطع من الورق لتمسـكوها جميعاً وتقرؤها في نفس الوقت ، فلا وقت للحفظ "

أنهى (يوسف) كتابة الورق ، ثم أعطى لكل منهم ورقة في يده وطلب منه الإطلاع عليها

- " وأنت هل ستردد معنا نفس الكلمات ؟ "

فرد (يوسف) مبتسماً :

- " لا إن دوري أن أجلس بعيداً عنكم وأراقبكم "

كان (أحمد) يجلس يراقب الموقف بحكمة وهو لا ينطـق بشيء حتى تلك اللحظة والتي قال فيها :

- " (يوسف) لا يمكن أن نلعب بالنار ، تلك الكلمـات في الغالب حقيقية وربما تؤذينا جميعاً وتكون نهايتنا على أيديها"

توقف (يوسف) لحظة وهو يفكر وقد بدأت عليه إمارات الارتباك ، ولكن صوت (حامد) إرتفع متحدياً إيـاه وهـو يقول :

- " لو كنت لا تريد التجربة وخائف من خرافات فـذلك شأنك لكنك لن تقنعني وقتها بأي شيء من تلك التخاريف يا صديقي الحبيب "

نظر (يوسف) إلى (حامد) وقد احمر وجهه من الغضب، فقال (أحمد) :

- " هيا ياشباب ماذا تفعلون ؟ هل أنتم أطفال تريدون العراك بسبب حلوى "

- " لا يا (أحمد) لكني لن أقتنع بأي من أرائكم عن المخطوطة أو حتى كلام عمك أو خالك أيا كان يا (أحمد) ، أو حتى كلام الشيخ الذي تحدث معه (يوسف) "

هنا وصل (أحمد) و (يوسف) لقمة الغضب حتى قال (يوسف) :

- " سنثبت لك أنها حقيقية والآن "

فقال (محمود) متأففاً :

- " إذن هيا بنا نبدأ "

فقاطعة (يوسف) قائلاً :

- " لا .. يجب أن نظلم المكان ثم نشعل شمعة صغيرة في وسطكم ، وتوزيع المقاعد في الصالون هنا لا يتيح لأربعة أن يجلسوا حول شمعة ، سنضطر للصعود للطابق الخامس في الشقة التي كنا نذاكر فيها قديماً "

هنا قال (حامد) مستنكراً :

- " يا سلام !! ، وما الذي يجبرني على فعل هذا كله ؟"

- " إيمانك يا صديقي ، يجب أن تدافع عن ما تــؤمن بــه أليس كذلك ؟ "

نهض (يوسف) وهو يعدل هندامه وينظر إلى الساعة الــتي قاربت على الحادية عشر ويقول :

- " سنصعد الآن ولا أريد إزعاج ، حتى لا يلاحظ أقاربي شيئاً ، والآن هيا بنا "

وقبل أن يصعد الجميع أخذ (يوسف) الورق الذي نقــل فيه نص المخطوطة التي أعطاها لإسلام ، ولكن أثناء صعودهم السلم جاء خاطر بسيط للحظة في عقل (يوسف)

((لقد ذكر (حامد) بسخرية كلمات من المخطوطــة ؟ ولكن كيف قرأ حامد تلك الكلمات ومتى حفظها وهو يعلــم جيداً أنه لم يرى المخطوطة إلا الليلــة ؟ وحــتى لم يــشاهد الكلمـــــات إلى الآن!!!! فكيـــــف ذكــــــر تلــــك الكلمات !!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!)) ، ولكن ذلك الخاطر سرعان ما تبخر من عقله

١٥ – الليلة سأنهي كل شيء

الساعة العاشرة والنصف بمنزل (حامد) :

٢٢ / ١

نحن الآن في غرفة نوم (حامد) ونرى الآن والدته وأشقاء (حامد) وهم يجلسون حول الفراش ، يا ترى من يجلس على الفراش ؟؟؟

إنه (حامد) !! يجلس على الفراش وقد وضعت قدمه اليمنى في الجبس ؟ ويمسك هاتفه المحمول ويبدو أنه يطلب رقماً

– " مستحيل ذلك الذي يحدث !! جميع هواتف الشلة مغلقة ؟ وحتى هاتف منزل (يوسف) مرفوع مؤقتاً من الخدمة؟"

كانت تلك العبارة من (حامد) وعلامات الغضب بادية على وجهه ، فردت عليه شقيقته قائله :

– " اهدأ ، ربما سقطت الشبكة في المنطقة التي يجلس بها (يوسف) ، ثم لما تشغل بالك حتى الآن ، بالتأكيد هم يعرفون أنك في ظروف خاصة طالما لم تذهب لمنزل (يوسف) الليلة "

- " لكني كنت أريد الاعتذار عن عدم ذهابي اليوم بسبب كسر قدمي أثناء نزولي على السلم ، والغريب أنه لم يطلـــبني أحد على هاتفي ليستفسروا عن غيابي !!!!! وكأنني حـــضرت لقاء اليوم وأجلس معهم الآن !!!! "

***

الساعة الحادية عشر بمترل (يوسف) (الدور الخامس)

٢٢ / ١

الأصدقاء الخمسة يرتقون درجات السلم بهدوء لكي لا يثيروا جلبة في باقي المترل ، وكان (يوسف) هو من يتقدمهم، حتى وصلوا إلى الطابق الخامس ، فأخرج (يوسف) من جيبه سلسلة المفاتيح ثم انتقى مفتاح شقة الطابق الخامس ، ودسه في ثقب الباب ليفتحه .

يا لها من رائحة عطن تهب عليك عند فتح باب الشقة ، رائحة تكونت من عدم الاهتمام بتنظيفها إلا كل بضعه شهور ، هذا غير أن (يوسف) لم يكن يصعد إليها إلا لماماً بعد أن انتهى من دراسته الثانوية .

الشقة تأخذ الطابق الخامس بالكامل ، عند دخولك من باب الشقة تعصف أنفك رائحة عطن ناتجة عن عدم تهوية المكان عند دخولك ستجد على يمينك أول غرفة في الشقة والتي تستعمل غالباً للنوم ، وعلى يسارك ستجد صالة واسعة

الشقة مفروشة بالموكيت الخشن ، أما الحوائط فهي مطلية بطبقة من الزيت ، وفي وسط الصالة تجد منضدة بيضاء مربعة الجوانب كان (يوسف) يستخدمها في المذاكرة قديماً هو وزملائه ، وحول المنضدة أربعة مقاعد من نفس لون المنضدة

على أحد حوائط الصالة وبالتحديد بالقرب من مكان المنضدة في أعلى الحائط تجد ساعة حمراء اللون ، ساعة قديمة جداً يتذكر (يوسف) أنها جاءت هديه من أحد أصدقاء والده .. ساعة حمراء اللون دائرية الشكل من النوع الذي يصدر ذلك الصوت الممل الرتيب للساعات القديمة

تك تك تك تك تك تك تك تك تك تك تك تك تك تك تك

الشيء البغيض في تلك الساعة أن صوتها أعلى من المعتاد ، فتجعلك تتضايق من صوتها المنتظم ، بجانب الصالة سترى ممر (طرقة) واسع يفضي في نهايته إلى الحمام والذي يجاوره المطبخ

تك .. زر الإضاءة يضغط عليه لتبدأ مصابيح الكهرباء المعلقة في السقف في الإضاءة .. أربعة مصابيح من النيون يحاولون الإضاءة مطلقين صوت (زززززززززز) ثم تبدأ الإضاءة بهدوء حتى تضاء الصالة بالكامل بضوء أبيض جميل

- " سبحان الله لم تتغير الشقة منذ أن كنا نقضي بها الليل أثناء الثانوية العامة "

أتت تلك العبارة من (أحمد) وهو يتأمل الشقة بعينيه ، فرد عليه (يوسف) وهو ممسك منديلاً ورقياً ويحاول أن يزيل الأتربة من على المقاعد :

- " لم يهتم بها أحد بعد انتهاء الثانوية ، وشقيقتي تخاف من المذاكرة فيها بمفردها ، فتم هجر الشقة مؤقتاً ، هل معك منديل ؟؟؟ "

- " تفضل "

أخذ (يوسف) و (أحمد) و (مصطفى) يحاولون إزالة الأتربة من على المنضدة والمقاعد المحيطة بها ، ثم دخل (يوسف) لغرفة النوم ومنها دخل غرفة أخرى ثم غرفة أخرى ليحضر مقعد إضافي .

كان مقعد من المقاعد التي ترص في الصالون ، كان قديماً لكنه صالح للاستعمال

- " هيا ماذا تنتظرون ؟؟؟ اجلسوا على المقاعد التي تحيط بالمنضدة ، أخ ... نسيت الشمعة ، أعطوني دقائق وأتيكم بها "

قال (يوسف) تلك العبارة ثم نزل جرياً إلى الشقة ليحضر شمعة وعلبة ثقاب

***

نعود مرة أخرى إلى (عماد) والذي نطق الاسم ودخل في غيبوبة كالتي دخل بها أخر مرة ، ولكن تلك الغيبوبة تختلف قليلاً عن الأولى ، فهو يشعر أن عقله متيقظ بطريقة طبيعية كأنه لم يدخل في الغيبوبة ، إنة يفكر أيضاً

بدأت تتشكل أمامة صورة مهزوزة لشاب يقف وهو معطي ظهرة لشيء غريب لا يدري ما هو لكنه يشبة الغــوريلا مــن كثرة الشعر الذي يغطيه

الكلمات تتردد باللغة الفارسية التي يفهمها جيداً ، إنة أحد أنواع العهود من الجن ، لقد كان الكائن يطلب أشــياء مــن الشاب باللغة الفارسية ؟ ، وكان الشاب يوافق وهو يــرتعش وفي النهاية قال هذا الشيء عبارة ثم اختفى

ما هذا !! لقد قال (عندما تحضر القرابين سنتقابل ثانياً يــا (بن القصاب))

مخي سينفجر .. هذا هو الحي بن القصاب الساحر الفارسي الذي أتى للقرية المصرية .. قرابين ؟

لقد كان هؤلاء الأربعة قرابين إذاً ، لقد فهم لقد فهم

الموضوع بدأت معالمة ، انتظر لحظة ما هذا ؟

هو الآن يرى نفسه يقف أمام عرش مطعم بالذهب علــى جزيزة في وسط الماء والنار في كل مكان تشتعل وتخمد بإنتظام

ثم رأى أربعة رجال يسيرون وهم ينظرون إلى الأرض بحزن ثم يقفون أمام العرش ، هناك تشويش بسيط في الحلــم لكنــه يعتقد أنة رأى تلك الوجوه من قبل

نعم .. نعم ، هذا (أحمد) بن شقيقته أحد الأربعة ، يقف وهو حزين بينهم

فجأة ، ظهر (يوسف) من خلف الكرسي المطعم بالذهب وهو يسير ببطء وخلفة يسير ثلاثة لا يتبين ملامحهم ، إنهم الذين رأهم مع (يوسف) يتبعونه أينما كان ؟

تقدم (يوسف) ووقف أمام الأربعة ، الحلم يتشوش وكأنه رؤية على صفحة من الماء إنه ... إنه يختفي ببطء

لاا

أكتملت الصورة

أكتملت الصورة

لقد علم ماذا يحدث .. عرف من هم القرابين

عاد (عماد) إلى وعيه ببطء ولكنه قام من على مكتبه وهو يردد مراراً وتكراراً :

- " يجب أن أمنع القرابين من أن تذبح ، يجب أن أمنع القرابين من أن تذبح "

توجهه إلى الهاتف ليطلب مترل شقيقته فقط لترد عليه فقال لهات بصوت عال :

- " ألو أنا (عماد) ، أخبريني بسرعة أين (أحمـــد) ؟؟؟
ماذا ذهب لمنزل صديقه (يوسف) ليقابـــل بـــاقي أصـــدقائه
باللمصيبة "

***

شقة (يوسف) الساعة الحادية عشر والربع

٢٢ / ١

والآن المشهد كالآتي :

(مصطفى) و (حامد) و (أحمد) و (محمود) يجلسون على المقاعد الأربع البلاستيكية والتي تلتف حول المنضدة ، وفي وسط المنضدة ثبت (يوسف) شمعة كبيرة نوعاً ما والضوء المنبعث منها يتراقص يميناً ويساراً ، وكل من يجلس حول المنضدة يحمل في يده قصاصة الورق التي كتب فيها (يوسف) الكلمات .

أما (يوسف) نفسه فقد جلس على مقعد بعيداً عن مكان المنضدة بخطوة أو أثنين وقد أمسك بين يديه الورق المنقول فيه نص المخطوطة الأصلية ، تكلم (يوسف) وعلامات القلق بدأت تظهر على وجهه :

- " شباب لقد بدأت فرائصي ترتعد بحق ، وبدأت أميل إلى أن نوقف ذلك الموضوع ، ما رأيكم ؟ "

رد عليه (حامد) مغتاظاً :

- " بعد كل الترتيبات التي قمنا بها وتريد إلغاء الموضوع !!! لنقل الكلمتين وننزل لشقتك فلن يحدث شيء "

وهنا قال (محمود) :

- " بالفعل أشعر بانقباض شديد جداً ، لكـــن أعتقـــد أن ذلك من تأثير خوفنا من المخطوطة ومن تأثير الجو النفسي مثل الشمعة والشقة المهجورة، أعتقد أن الموضوع بالكامل خرافـــة فلن يضيرنا أن نقول الكلمتين ونرحل فلا خوف من الموضوع"

يبدوا أن كلام (حامد) و (محمـــود) قـــد أثـــار روح التحدي في نفس (يوسف) فهو لا يريد أن يظهـــر بمظهـــر الجبان الذي يخاف من لا شيء

- " إذن هيا فلترددوا الكلمات بنفس التوقيـــت بـــصوت واحد "

كانت تلك العبارة من (يوسف)، فأضاف (حامد) :

- " حاضر سنبدأ القراءة ولن ننسى أن علامـــة حـــضور عفركوش هو ارتفاع لهب الشمعة لسقف الشقة "

- " اخرس وابدأ القراءة "

مرت لحظات صمت بسيطة نظر فيها الأصـــدقاء الأربعـــة لبعضهم ، ثم بدأ الجميع القراءة بصوت عال

((سمامها طولام فقدشبينا يوهانيط سمسمائيل يـــصيفيدش أحرق كل من عصى أمرك بحق إصطفار و بيوم عمياخ وبحياة هليع بحق إصطفار وبيوم عمياخ وبحياة هليع

هل تتذكرون الكهف الذي رأيناه في الفصل الثالث (السجين) ، في لحظة قراءة الأربعة أصدقاء للكلمات وعند هذه النقطة من الكلمات نرى المشهد الأتي !!!

كانت هناك كلمات على فتحه الكهف من الخارج ، تلك الكلمات تذوب الآن ، تذوب وكأن هناك مادة حارقة تذيبها

أما الكهف نفسه فقد بدأ يهتز من الخارج كأن هناك زلزال في تلك المنطقة ، لا لقد أخطأت إن الصخور التي تحيط بالكهف هي التي تهتز فقط وتتزلزل من مكانها ؟؟؟

*

يا من تسمعون في وادي القرنيم بحق سيدكم وبحق مقبلكم فكوا قيد بن ذاعات فكوا قيد بن ذاعات فكوا قيد بن ذاعات ....

*

عندما وصل الأصدقاء لتلك الكلمات ظهر شيء غريب !! شيء لن نراه بأعيننا نحن البشر ، لكن ماذا لو أننا نرى بمنظور أخر ، منظور شخص يرى عالم الجن وعالم البشر

الهواء يتخلخل حول الأربعة الجالسين على المنضدة ، وعند خروج الكلمات من حلوقهم فإن الهواء يتخلخل حولهم أكثر ، أصوات صفير وكلمات تقال بسرعة رهيبة ، كلمات لم تخرج

من حلوق بشرية ، عفاريت من الجن تتحرك في سرعة حـــول الأربعة ، كل شخص من الجالسين على المنضدة يقف بجانبـــه نفر من الجن ماعدا شخص واحد لا يقف بجانبه أي شيء

أشكال الواقفين بجانب كل شخص مخيفة ، عيونهم واســـعة جداً لدرجة أنها تأخذ نصف وجوههم ، وقرونهم كبيرة جـــداً يقفون ولا يفعلون غير شيء واحد

يرتعشون ويهزون رؤوسهم لأعلى وأسفل بلا انقطاع !!!

*

(مازال الأصدقاء يكملون القراءة)

فيدعاهاط موسماعل بق حتى إذا أحضرتم أحرقكم المولى بحق وصيل مشموهوه شرطيائيل

*

نحن الآن في أحد الأودية الصحراوية التي يسكنها الجن

((فيدعاهاط موسماعل بق حتى إذا أحضرتم أحرقكم المولى بحق وصيل مشموهوه شرطيائيل))

كان ذلك النداء السابق يتردد في الأودية وكأن له ذبذبـــة خاصة به !! بعد انتهاء النداء بدأ كأن هناك بخار يتكاثف فوق رمال الأودية .. بخار أسود اللون ، ثم بدأ البخار يتجسد ببطء

ليكون آلاف من أفراد الجن يملئون الأودية وهم يفعلون شـــيئاً واحداً

يرتعشون ويهزون رؤوسهم لأعلى وأسفل بلا انقطاع !!

*

(مازال الأصدقاء يكملون القراءة)

موهوقمي نوخيشما هدار مخلي

*

هنا ارتفع صوت كأنه حيوان يعذب !!! أو إذا أردنا الدقة لقلنا أنه حيوان جريح يزأر

*

انتهي الأربعة من القراءة ليرتفع فجأة من خلفهم صــوت (يوسف) وهو يردد من الورقة التي في يده

أريقاً أريقاً فليقاً فليقاً حليفاً حليفاً أتوني مستكين مــستكين مستكين .. احضروا أينما تكونوا احضروا فإنكم محاطون بـــه من كل جانب

*

مازالت صخور الكهف تهتز مرة أخرى ، ولكن دعونا نلقي نظرة على الكهف من الداخل وماذا يحدث به الآن :

هل تتذكرون السجين ؟ لو تذكرنا السجين جيداً لتذكرنا أن يديه مكبلة بالسلاسل والسلاسل منقوش عليها نقوش غريبة المنظر ، الآن هذه النقوش تشتعل بها النار وتستغير ملامحها وتذوب نهائياً ؟

السجين يقف والسلاسل التي تكبل يديه تتكسر بسهولة وكأنها الحبال

السجين يبتسم بهدوء للحارسين الذين يحرسانه وينظران له الآن برعب شديد ، يبدوا أن هذا السجين سيفتك بالحارسين بكل هدوء وبلا ضجة

*

(مازال (يوسف) يكمل القراءة وسط دهشة أصدقائه)

سمسائيل الهوام يحاقوف المخلبي سمسائيل الهوام يحاقوف المخلبي ارجعوا يا جنود المارد ارجعوا يا جنود المارد

*

حول الكهف وقف آلاف من أفراد الجن يحيطون بالكهف ويصدرون من حلوقهم أصوات غريبة وكأنها نداء على شخص ما

*

(مازال (يوسف) يكمل القراءة)

فكوم يا حليق فكوم يا حليق نخدام بماميم بحق سمسائيل أن تأتيني احضروا يا جنود المارد لتكونوا الجيش الأعظم الـوحى الوحى العجل العجل الساعة الساعة احضروا بحق مخلبي

وهنا انقطع التيار الكهربي عن الشقة .. ثم انطفأت الشمعة

– " أعوذ بالله من الشيطان الـرجيم ، أيـن أنـت يـا (يوسف) "

– " أنا جالس مكاني يا (أحمد) لا تخف "

دارت هذه المحادثة وسط الظلام الذي ساد الـشقة بعـد انقطاع التيار الكهربي ، ثم بدأ الجميع يستعيذون بـالله مـن الشيطان الرجيم

– " أشعر بخوف شديد ، فلتضيء الشمعة يا (يوسف) "

فرد (يوسف) قائلاً :

– " يبدو أنك نسيت أن علبة الثقـاب بجانـب الـشمعة أمامك، هيا أضيء الشمعة "

أخذ (مصطفى) يتحسس المنضدة حـتى وجـد علبـة الثقاب ، فأخذ منها عوداً وبدأ في إشعاله ، ثم قربه من الشمعة

لتضيء المكان .. أعوذ بالله من الشيطان الـــرجيم إن الظـــلام أجمل بكثير ، ما هذا الهول ؟؟؟؟؟؟؟؟

***

ملحوظة :

من الآن سأروي كل ما حدث في اللحظات القادمة ولكن سأرويها من منظور كل شخص من الجالسين علـــى المنـــضدة وفي النهاية سأروي من منظور (يوسف) نفسه

***

(أحمد) يجلس على المنضدة والظلام يغلفـــه مـــن كـــل جانب ، كان (أحمد) يكره الظلام الدامس حتى أنه دائماً ما كان يغلق عينه بمجرد أن ينقطع التيار الكهربي ، فهو يخاف إذا فتح عينه أن يرى أشياء تتحرك في الظلام ، ولذا فقد أغلقهمـــا عند انقطاع التيار الكهربي

ثم سمع (يوسف) يخبر (مصطفى) بأن يـــضيء الـــشمعة فنظر باتجاه المنطقة التي يجلس فيها (مصطفى) منتظراً إيـــاه أن يشعل الشمعة ، لقد أشتعل عود الثقاب وأضاء الشمعة !!!!

أين أصدقائه ؟؟؟ المقاعد كلها خالية ولا أثر لأصدقائه ، أين ذهبوا ؟؟

كانت صدمة على عقل (أحمد) لا يمكنه استيعابها ، فهو يرى على ضوء الشمعة الذي منحه الكثير من الرؤية في ذلك الظلام أن المقاعد خاوية ولا أثر لأحد

بدأ جسده يرتعش من الخوف ماذا يحدث بالضبط ، هل هذا مقلب مدبر له ؟ ولكن كيف وهو كان قد سمع أصواتهم قبل اشتعال الشمعة فكيف اختفوا في لحظة واحدة ؟؟

هنا سمع نقراً يصدر من حوائط الشقة نقراً خفيفاً تكاد تميزة على أنه خرفشة وليس نقراً ، ثم زاد النقر أكثر فأكثر

هل تذكرون عندما كنا نصف الشقة وقلنا أنه بجانب الصالة هناك ممر في أخره دورة المياه يجاورها مطبخ ، (أحمد) الآن يسمع صوت باب دورة المياه يفتح ببطء شديد كأن الهواء هو ما يحركه ، كان صريره عالياً جداً وهو يفتح ببطء ، حتى توقف صوت الصرير ، ربما لا نبالغ لو قلنا أن قلب (أحمد) قد توقف عندما رأى المشهد التالي :

من الطرقة الموصلة لدورة المياه خرج ثلاثة أشخاص وهم يتجهون ناحية المنضدة التي يجلس عليها (أحمد) ، ثم وبكل هدوء جلس هؤلاء الثلاثة على المقاعد المواجهة لأحمد ووجوههم تغلفها الظلام !!!

ولكن

بمجرد جلوس الثلاثة على المقاعد أمام (أحمد) وقع ضـــوء الشمعة على وجوههم فظهرت أشكالهم أمام (أحمد)

لم يملك إلا أن يطلق صرخة رهيبة من هول المشهد الـــذي يراه أغمض عينيه وجسده يرتعش وظل يطلـــق الـــصرخات والدموع تنهمر منه ، إنه يتمنى الموت الآن .. يتمنى الموت لكي لا يرى تلك الوجوه البشعة وهي تنظر له وتبتسم

هدأت صرخاته قليلاً بعدها تغير صوته وتحول إلى نحيـــب وبكاء خافت ، لا نلومه عندما شعر ببلل في سرواله من الخوف وبعد دقيقة من النحيب وهو مغمض العينين ينتظر الموت بـــدأ يفتح عينية ببطء ليرى أن الثلاثة مازالوا موجودين في أماكنهم وينظرون له بهدوء

لم يمتلك إلا أن ينظر لهم بنصف عين ، ظل يحاول النظر لهم من بين دموعه حتى تكلم أحدهم ، كان الصوت يخرج منـــه بنبرات بطيئة وصوت يشبه الحشرجة :

- " شكرا لكم لمساعدتنا على الرجوع مرة أخرى ، لـــن ننسى لكم هذا الجميل سنتذكره دائماً بعد رحيلكم "

توقف (أحمد) عن البكاء ووجهه ينطق بالدهـــشة وهـــو يقول بصوت خرج بصعوبة :

-" رحيلنا ؟؟؟ "

- " نعم رحيلكم ، ولكن لن ترحلوا بلا فائدة فستصيرون أنتم القربان البشري الذي سيقدم لسيدنا الأعظم "

ثم سكت قليلاً وأضاف :

- " المخلبي بن ذاعات سيد جيوش الجن "

بدأت المرئيات في عين (أحمد) بالاهتزاز وبدأ يفقد الرؤية شيئاً فشيئاً ولكنه قال بصوت خرجت كلماته متقطعة

- " من أنتم ؟؟ "

- " نحن حراس المخلبي بن ذاعات وخدامه الذين تفرقـوا في الوديان ، وقد حان وقت رجوعنا ، أرجوا ألا أكون فظـاً لكني أنصحك أن تنطق الشهادتين وتغمض عينيك

نطق (أحمد) الشهادتين وهو يبكي ثم أغمض عينيه

رحمه الله

***

(محمود) الآن يستمع ل(يوسف) وهو يخبر (مصطفى) أن يمسك عود الثقاب ويشعل الشمعة ، فانتظر حتى سمع عود الثقاب يحتك بالعلبة ثم تضاء الشمعة

إنه يرى الآن (يوسف) جالساً وهو يتلفت حوله برعب ، أما (أحمد) فقد كان مغمض العينين وهو يرتجف ببطء

أما مقعد (حامد) فقد كان خالياً

ولكن عندما نظر (محمود) إلى (مصطفى) وجد مشهد غريب .!!!

لقد كان (مصطفى) يرتعش بجنون وهو يحرك شفتيه بسرعة رهيبة وكأنه يحادث أكثر من شخص ، أما عن حدقتا عينيه فقد كان هناك بياض تام يغلفهما ؟؟؟

أطلق (محمود) شهقة وهو ينظر لمصطفى برعب بينما قال (يوسف) بسرعة موجهاً كلامه لأحمد :

- " ماذا يحدث لمصطفى يا (محمود) ، أمسكه جيداً كي لا يقع من على المقعد "

بالفعل كان (مصطفى) سيقع من على المقعد بسبب أن ارتعاش جسده قد زاد وبدأ المقعد يهتز بشدة

نهض الثلاثة أصدقاء بسرعة وهم يتجهون ناحية (مصطفى) وهم يهزون جسده كي يفيق بينما من حلقه بدأت تخرج كلمات سريعة غير مفهومة وجسده يهتز أكثر ، وفجأة هدأ جسد (مصطفى) وعادت حدقتا عينيه للظهور مرة أخرى ، ولكنه نظر هذه المرة لمن حوله وعلى وجهه ارتسمت نظرة حزن ثم قال والدموع بدأت تذرف من عينيه

- " ياللهول ماذا فعلنا .. أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله "

ثم أنتفض جسده فجأة ولمعت عيناه وكأنة يعاني وخرجت من حنجرته صوت حشرجة ثم سكنت حركته تماماً

- " لااا "

أنطلقت تلك الكلمة من (محمود) وهو يهز (مصطفى) يميناً ويساراً ويحاول أن يكلمه .. بلا فائدة

- " لا تمت لا تمت انتظر يا صاحبي انتظر ماذا رأيت ؟ قل لي ماذا رأيت ؟ "

خرجت الكلمات من (محمود) بغضب ممزوج بحزن وهو يهز صديقه بلا فائدة ، حتى اضطر (يوسف) لإبعاده عن جسد (مصطفى) حتى يفحصه (أحمد) .

حاول (أحمد) فحصه بوسائل بدائية كأن يضع إصبعيه تحت فتحتي أنفه ، أو يحاول قياس نبضه بأكثر من طريقة ولكن المشكلة أن مظهر (مصطفى) كان يوحي بالموت منذ أن انتفض

بدلاً من ملامح الحزن الذي من المتوقع أن تظهر على وجه (محمود) ظهرت ملامح الغضب الشديد ، لقد كان أكثر

الأصدقاء معاشرة لمصطفى منذ صغرهم حتى تلك اللحظـــة ..
فقام وهو يصيح :

- " من أنتم أيها الأغبياء اظهـــروا لي ، يـــا مـــن قتلـــتم (مصطفى) ، لماذا تفعلون ذلك "

كانت العبارة السابقة تنطلق من حلق (محمود) وهو ينظر حوله وعيناه تلتمع من الغضب .

أما (يوسف) كان عملياً جداً فقد جرى ناحية باب الشقة ليفتحه ، ولكنه فوجئ أن الباب لا يستجيب له ؟؟؟؟؟

يحاول أن يدير مقبض الباب ولكن لا فائدة من ذلك

في تلك اللحظة كان (محمود) قد بدأ يخـــرف بـــالكلام ويكلم أشخاصاً غير موجودين ويتحداهم ، ولكـــن حـــدثت مفاجأة غير متوقعة !!!

أضاءت أنوار الشقة كلها دفعة واحـــدة لتعمـــي عيـــونهم للحظات ، ولكن تلك ليست المفاجأة فالمفاجأة كانت أعنف

على الحائط الذي يقف بجانبه (محمود) كتبت كلمـــات بالدم بخط كبير مهزوز تقول :

((أنت يا من تتحداني لا تتلفظ بما لا تعلـــم * فبحـــق الله كنت سأدعك لتعيش لكنك مغرور وستموت لتلك الكلمات التي تفوهت بها))

قرأ (محمود) و (يوسف) و (أحمد) الكلمات التي على الجدار بعد عودة الأنوار مرة أخرى للشقة ، وبمجرد أن انتهوا من القراءة انطفأت الأضواء مرة أخرى ولكن تلك المرة انطفأت الشمعة مع انطفاء الأضواء فساد الظلام الشقة

ومن وسط الظلام ارتفعت صرخة رهيبة تشق الظلام ، صرخة من يتعذب قبل أن يموت ..

***

قال (يوسف) لمصطفى :

- " يبدو أنك نسيت أن علبة الثقاب بجانب الشمعة أمامك .. هيا أضيء الشمعة "

سمع (مصطفى) تلك العبارة فمد بيده يتحسس المنضدة إلى أن وجد الثقاب ، كانت يده تهتز من الخوف ولكنه حاول التماسك ، أين علبة الثقاب اللعينة .!!

لقد أمسكها أخيراً ليخرج أكثر من عود ليضيئهم مرة واحدة فقد كان يرى أمه تفعل ذلك لتضمن أن تشتعل شعلة كبيرة من اجتماع أعواد الثقاب .

قرب الثقاب المشتعل من فتيل الشمعة لحظات بسيطة حتى أضاءت الشمعة ، الضوء الجميل الذي يبعث نسبة من

الاطمئنان على ذلك الجو الكئيب ، كان (مـــصطفى) قبـــل انقطاع التيار الكهربي يجلس على المنضدة وعلى يمينـــه يجلـــس (أحمد) وعلى يساره يجلس (حامد) وأمامه (محمود) ، أما (يوسف) فقد جلس بعيداً

أما عندما أضاءت الشمعة المكان مرة أخرى فكان الترتيب واحد ولكن هناك شيء لا يريحه في المشهد ؟؟؟

بمجرد أن نظر أمامه بعد إضاءة الشمعة وجـــد (محمـــود) وقد اتسعت عينية برعب أما (يوسف) فقد أصدر شهقة من حلقه ، العيون تنظر على يسار (مصطفى) مما جعلـــه ينظـــر باتجاه (حامد) فهو الذي يجلس على يساره

لا يوجد ما يريب ، (حامد) يجلس كما هو ، ربما تغـــير شكله بعض الشيء ؟؟؟ أعتقد أن شعره قد استطال فجأة وقد خرج من جانبي رأسه قرنان صغيران ، أما يديه فهي ســـوداء تماما تكاد تلمع من السواد ، وكذلك وجهـــه كـــان أســـود تماماً .. سواد يشبه الأبنوس ، ربما أمكننا أن نقول أن عيناه قد اسودتا تماماً فلا وجود للقرنية ، هذا ما ظهـــر علـــى ضـــوء الشمعة .. ويبدوا أنه كان كافياً ليصرخ (مصطفى) ويقع هو ومقعده على الأرض

ساد الهرج وجرى الجميع بعيداً عـــن المنـــضدة ، ولكـــن المشكلة أنهم بمجرد ابتعادهم عن المنضدة يـــدخلون في دائـــرة

الظلام فلا يرون شيئاً فيضطرون مرة أخرى للاقتـــراب مـــن الضوء الذي ترسله الشمعة التي فوق المنضدة التي يجلس عليهــا هذا المسخ هادئاً

- " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أين (حامد) .؟؟؟ "

انطلقت تلك العبارة من فم (مصطفى) ونظره لا يفـــارق المسخ الجالس وهو يحاول الابتعاد قدر الامكان عنه

تلك العيون السوداء لذلك المسخ ثابتة لا تتحرك ، ولكـــن بمجرد نهاية جملة (مصطفى) تحرك وجه هذا الـــشيء لينظـــر لمصطفى ويقول بصوت (حامد) الأصلي :

- " (حامد) يجلس الآن في بيته أمناً فلا تخف عليه "

- " من أنت ؟؟؟؟ "

هل المسوخ تبتسم ؟؟؟ ربما كانت التشققات التي ظهرت في وجه المسخ ابتسامة وهو يقول :

- " أنا (الغوال) "

كان جسد (مصطفى) يرتعش وهو يستمع لهذا الـــشيء ويحاوره ، ولكنه أندهش من نطق هذا المسخ لكلمة (غوال) فقال له :

- " ماذا تعني ؟؟ "

- " أنا الغوال من عشيرة الغيلان كلفني سيدي بأن أتشكل لكم في شكل (حامد) وأجعلكم تنطقون كلمات رجوع الملك الأعظم المخلبي ليتحرر من قيوده ، ولتحرروا جيشه وتجمعوه من الأودية والفلاة ، وقد أتممت مهمتي وحان وقت رجوعي لقبيلتي .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته "

انطفأت الشمعة بعد انتهاء كلمات الغوال وساد الظلام

ولكن (مصطفى) شعر بشيء ثقيل يطبق عليه ، كأن هناك من يكتم أنفاسه ، يحاول أن يأخذ شهيقاً ولكنه لا يستطيع ، تنميل يصيب رأسه ويدخله في غيبوبة .. لقد علم بشيء واحد قبل دخوله في الغيبوبة .. أن الحياة تنسحب منه

***

- " لا نعرف جذراً حدود قدرتهم ، ولكن يمكننا مما روي لنا أن نحدد بعض الأشياء ، مثلاً : يمكنه أن يؤثر بطريقة غير مفهومة لنا على مراكز عقلك حيث يجعلك تشعر بأحاسيس وترى أشياء ليس لها وجود في الواقع ، وربما تحكم في بعض مراكز الكلام والأعصاب في المخ ، ويمكنه أيضاً أن يتشكل في أشكال البشر ، أو أشكال الحيوانات ، أو أشكال بعض الجمادات ، فيمكنه التأثير في دنيا البشر بتلك الطريقة

وبالطبع هناك طرق أخرى كثيرة لا يمكن معرفتها أو تحديدها .

(يوسف) يخبر (مصطفى) بأن يمسك الثقاب لكي يشعل الشمعة ، صوت احتكاك عود الثقاب وهو يشتعل ثم الشمعة وقد توهج نورها ، أين أصدقائه ..!!!!!

المقاعد خاوية ولا أثر لهم ، أخذ ينظر (يوسف) يميناً ويساراً برعب وهو يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم حتى سمع خطوات أقدام ثابتة تأتي من الطرقة ؟؟؟؟

نادى بأعلى صوته :

- " من أنت ؟؟ "

لم يتلق رداً بل أخذت الخطوات تقترب حتى دخل صاحبها في مجال ضوء الشمعة

كان (يوسف) يرى الآن رجلاً وقوراً طويل القامة وسيم الملامح أبيض الوجه يمتلك خصلات ناعمة من الشعر انسدل بعضها على جبينه ليعطيه مزيداً من الوسامة ، يرتدي قميص وسروال وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة مطمئنة ، لن يمكننا بالطبع وصف دهشة (يوسف) وهو ينظر إلى هذا الرجل بذهول !!!!

أما الرجل فقد أخذ أحد المقاعد الخالية ووضعها أمام مقعد (يوسف) ثم جلس عليها ووجهه في وجه (يوسف)

- " كيف هي أحوالك يا (يوسف) ..؟؟ "

- " ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

ضحك الرجل من نظرة الاندهاش المرتسمة على وجهه (يوسف) فقال له :

- " لك عندي يا (يوسف) معزة خاصة منذ قديم الزمن .. لذلك فأنا أدين لك بالتفسير ، اسأل وأنا أجيب "

ظل (يوسف) ينظر لحظات طويلة لا يقدر على الكلام حتى انفكت عقدة لسانه وقال كأنما أنتبه فجأة لما يحدث

- " من أنت ؟ "

أعتدل الرجل في مجلسة ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة وهو يقول :

- " أنا .. أنا المخلبي ، المخلبي بن ذاعات هل عرفتني يا صديقي "

***

١٦ – مرحباً بصديقي القديم

(يوسف) يجلس وعلى وجهه علامات الذهول وينظر للرجل الذي يجلس أمامه لا يعرف ماذا يفعل .

كان الرجل مازال ينظر إلى (يوسف) مبتسماً وكأنه يطمئنه بتلك الابتسامة الودود ، فلما طالت النظرات بين الطرفين قال الرجل الجالس :

– " يبدوا أنك مندهش من مظهري يا (يوسف) لا تندهش فقد اخترت أن أظهر لك بمظهر رجل وسيم كي لا تفزع من شكلي الحقيقي ، فأنا لا أريد إفزاعك يا صديقي فكما قلت أن لك معزة خاصة عندي "

– " ماذا يحدث !!! أنا لا أفهم شيء ؟؟؟ "

– " أعذرني يا صديقي فلو كنت في نفس مكانك لفعلت مثلما فعلت أنت ، لذلك سأفسر لك الحكاية منذ البداية ، قم معي "

بعد أن انتهى (المخلبي) من جملته وقف فارداً قامته ومنتظراً (يوسف) أن ينهض مثله

كان (يوسف) كالمنوم مغناطيسياً لا يملك معظم إرادته فلم يفعل شيئاً سوى أن ينهض وهو مذهول ناظراً إلى

(المخلبي) الذي تأبط ذراعه وكأنه صديق قديم ، ثم بدأ يمشي هو و (يوسف) ليخرجوا من دائرة الضوء ، هنــا اختفــت الشقة ولم يعد يراها (يوسف) وظهر أمام عين (يوســف) مشهداً غريباً

حرب طاحنة تدور بين جيشين عظيمين ويبدواً أن أحــد الجيشين كان منظماً من حيث تقسيمه ، كانت أشكال الجنود في الجيشين تثير الرعب في القلب لا يمكن وصف أشكالهم

قال (المخلبي) وهو مازال يتأبط ذراع (يوسف) :

– " أنا المخلبي بن ذاعات ، منذ مئات السنين كنت قائــداً قوياً لجيوش ممالك الجان المسلمين ، وكانت الانتصارات تتوالى على يدي ومن خلال إخلاص جيشي لي فقد كانوا يحترمونني بشدة ، وبدون أن يعلم باقي القواد كنت أتدخل في عــالمكم وكان البشر يستعينون بي في حياتهم لينالوا عطفي وإحساني "

تغير المشهد هنا ليظهر أربعة من الشباب يرتدون ملابــس بالية قديمة لا تمت لعصرنا يجلسون ملتفين حول شمعة ويقولون كلمات بصوت غير مسموع ، وبعيداً عنهم بعــض الــشيء جلس شاب وسيم ذو عينان ثاقبتان وحاجبان كثيفان ، نظراته تمتلئ بالخبث والمكر

كان هؤلاء الشباب يرددون كلام بلغة غريبة ولكنــه أول مرة يسمع فيها تلك المقاطع !!!

فقال (المخلي) :

- " هؤلاء هم من قرأت عنهم في الورق الذي امتلكته ، هذا الذي يجلس بعيداً عنهم هو فتى يدعى (الحي بن القصاب) وقد أراد أن يمتلك خداماً من الجان يسخرهم ويفعل بهم ما يشاء .. فأعطاه أحد خدامي كلمات وأعطاه طلبات لو حققها لأهديت له خداماً يكونون تحت تصرفه ، لقد طلبت منه أن يقدم لي أربعة قرابين بشرية يقرأون كلمات تعني بأنهم سيضحون بأرواحهم من أجلي أنا ، فأخذ هذا الساحر هؤلاء الأربعة وأقنعهم أنهم سيصيرون أغنياءاً بعد أن يقرأوا تلك الكلمات ، وبالفعل قرأوا الكلمات وتم الاتفاق وأهديت (الحي بن القصاب) ١٠٠ من أنفار الجان ليخدموه حتى يموت ، أما الأربعة الباقين فقد بدأت في قتلهم واحداً واحداً ماعدا أخر شخص "

هنا تغير المشهد الذي يراه (يوسف) ليصير في بيت غريب الشكل ويجلس فيه أحد هؤلاء الشباب الأربعة وهو مغمض العينين ويتكلم مع كائن مرعب الهيئة

أكمل (المخلي) قائلاً :

" كان الأخير هو (إسماعيل بن عبد الله) وكنيته (إسماعيل الحلاج) ، هذا الشاب فهم ماذا يحدث فبدأ بترديد أسمي كثيرا

وقد حفظه من الكلمات التي علمها له الساحر ، أخذ يــردد أسمي ليلاً حتى بعثت له أحد خدامي ليحدثه ويفهم ماذا يريــد منه ، فقال أنه يريد الأمان وأن يعيش بسلام ، فبلغه خادمي أنه معد كقربان لي أنا ، فقال أنه يريد أن يقدم لي قربان أعظم

فعقد معي اتفاقاً ، أن أتركه يعيش بأمان وأعطيه خداماً من عندي ، مقابل أن يقدم لي قربان كبير ، سيقدم لي أهل قريتــه كلهم قرباناً "

عند تلك الكلمة شهق (يوسف) واتسعت عيناه وقد بدأ يشعر بالأهوال التي حــدثت في ذلــك الزمــان ، فأكمــل (المخلبي) :

- " خرج (إسماعيل) لبلدته وقال بأنــه رأى رؤيــة أن القرية بها مرض غريب كالذي مات به الثلاثة الــسابقين ، وأن النجاة من ذلك المرض بأن يقول الرجل كلمات معينة تنجيــه بعمره ، فقالت معظم القرية الكلمات التي علمتها لإسماعيــل ، ثم هرب (إسماعيل) وترك القرية لي فمن قال منهم الكلمــات أخذته كقربان وقتلته ، ومن لم يقل هرب من القرية من هــول ما رأى "

- " هل (إسماعيل) هذا سفاح أم ماذا ؟ "

كانت تلك العبارة من (يوسف) وهو مشمئز من ما يرويه له (المخلبي) عن (إسماعيــل) ، فــتغيرت الــصور أمــام

(يوسف) ليرى (إسماعيل) وهو يتمشى في الصحراء ويحمل على ظهره أشياء غريبة ..!!!

نظر (المخلبي) ليوسف بغضب وهو يقول :

- " تحدث بإحترام يا فتى ، يبدوا أن والـــديك لم يعتنـــوا بتربيتك جيداً ، كيف تتكلم عن جدك الأكبر بهذه الطريقة "

***

- " جدي أنا ؟؟؟؟؟ "

ضحك (المخلبي) طويلاً حتى قال :

- " جدك (إسماعيل) عقد معي اتفاق وهـــو أن أمنحـــه الخدام والقوة وهو يمنحني القرابين البشرية ، ولكن هناك بند في الاتفاق نسيت أن أذكره لك ،

حفيد (إسماعيل) الخامس عليه بأن يجدد الاتفاق معي مرة أخرى ، أي يعطيني قرباناً بشرياً وأعطيه أنا القـــوة ، وأنـــت الحفيد الخامس لإسماعيل يا بني "

شهق (يوسف) هذه المرة وهو يرتجف من تلك الكلمات ، ماذا يحدث بالضبط ، عفاريت واتفاقات مع الجن وأجـــداد سحرة ، رباه ماذا يحدث لي ..؟؟؟؟

ظهر أمام (يوسف) فجأة مشهد غريب

منزل مزخرف ومليء بالوسائد الملونة وتنتشر في سقفه قناديل عديدة الألوان تضيء بلون خلاب .. وعلى الأرض يجلس رجل عجوز وهو يصلي ويسجد لله

قال (المخلبي) :

- " ولكن في أخر سنوات من حياه جدك أحس بأنه أخطأ باتفاقه معي فأخذ يصلي ويحج ويعتمر ويتضرع إلى الله تائباً و لم يكتفي بذلك بل فعل ما هو أشد

لقد زادت قوة جدك بخدامه الذين أعطيتهم له ، فبلغ خدامة أن يأخذوه إلى داخل عالم الجن المسلم ، وهناك أفشى الاتفاق الذي كان بيني وبينه وأفشى أنني من قتلت القرية كلها وأعطيته خداماً ليخدموه ، وكنت أنا أحد أكبر قواد جيوش عشائر الجن وتحت إمرتي جحافل من جنود الجن يطيعونني طاعة عمياء

فتم الحكم علي من مجموع القبائل بالسجن بقية حياتي ، والحكم على الجنود الذين ساعدوني في أعمالي بالتفرقة في الجبال والوديان وعدم معرفة المكان الذي سجنت فيه

تباً لهم ، لقد أرسلوا القائد (يصفيدش) خصيصاً ليقوم بهذه المهمة ويقوم بإصطيادي وتفرقة جنودي "

ثم ابتسم بخبث وقال :

- " ولكن أنت لا تعرف ، لي ثلاثة حراس شخصيين من أخلص رجالي عملوا على معرفة الكلمات التي سجنت بها والتي طالما كانت منقوشة على قيودي لا أستطيع التحرك ، وعرفوا كيفية فكها وتحريري وكانت المفاجأة أنني أحتاج لبشر يردد تلك الكلمات لأنه لو رددها أحد أتباعي من أنفار الجن فسيعلم قواد الجن مكانه ويحرقونه ، أما لو رددها بشر فلن يعرف قواد الممالك بترديديها

فتشكل أحد حراسي الثلاثة على هيئة لحاد البلدة التي دمرتها وظهر (لأحمد بن إسحاق) وأعطاه الورق المكتوب به كلمات فك قيدي واجتماع رجالي ، ولكن (بن إسحاق) لم يردد الكلمات ولم يفهم وحرق العلماء كتابه الذي دون به الكلمات ، فتشكل حارسي الثاني على هيئة تلميذ (بن إسحاق) والمدعو (عبد الرحمن بن إبراهيم) وكتب الكلمات والحكاية مرة أخرى كي يقرأها شخص ما ، كتب حكاية الساحر والأربعة والبلدة ولكنه غير الكلمات التي قالها الساحر والأربعة وجعلها الكلمات التي تفك قيدي وتحرر جيوشي مرة أخرى

وبعد سنون طويلة وبعد ولادتك قرر حراسي أنك الحفيد الخامس لإسماعيل وأنك يجب أن تردد تلك الكلمات بأي ثمن حتى تعيديني مرة أخرى ، فظلوا يتتبعونك سنوات طويلة

يمشون وراءك كظلك ويقومون بالتشكل لك في أيـــام كـــثيرة ولكنك كنت تتجاهلهم .

حتى تشكل لك حارسي الثالث في صورة رجـــل عجـــوز وأوهمك بوجود كشك لبيع الكتب وجعل الورق أمامك حتى تأخذه وقد كان .. أما أحد أصدقائي من قواد الجن فقد أرسل لي بهدية لكي يساعد في عودتي ، فقد أرسل أحد أتباعه وهـــو الغوال ليتشكل لكم في شكل صديقك (حامد) ليـــستفزكم لتقرأوا الكلمات وأعود يا صديقي مرة أخرى من سجني "

هل نقول أن (يوسف) قد جن ، ربما لا نبالغ لو قلنا أنـــه قد فقد إدراكه أو إحساسه بـــالزمن ، لم يملـــك إلا أن قـــال بصوت خفيض كأنه يحدث نفسه :

- " لقد رأيت حلماً شاهده كل أصدقائي ، ما تفسيرة ؟ "

- " آة أنت تتحدث عن حلم القربان ، كـــل مـــن يعـــد كقربان يشاهد هذا الحلم ، ومن يشاهد هذا الحلم يعلـــم أنـــه سيكون قرباناً عاجلاً أم أجلاً "

- " إذن أنا قربان ؟ "

- " أنت من تحضر القرابين ولكنك شاهدت الحلم لغرض في نفسي أنا "

- " وحبيبة ؟ لما شاهدت الحلم ؟ "

ابتسم المخلي وغمز بعينيه وهو يقول :

- " لها وقتها فلا تتعجل "

هنا قال (يوسف) وعيناه تذرفان الدموع :

- " أصدقائي .. ماذا فعلت بأصدقائي ؟ "

- " هل هذا سؤال يا بني ، قتلتهم بالطبع فهم القربان البشري لرجوعي وقد قدمتهم لي كما اتفقنا أنا وجدك منذ مئات السنين "

مازالت الدموع تذرف من عين (يوسف) وهو ينظر للأرض ويستعيد أحداث تلك القصة مرة أخرى

***

- " بكم ذلك الكتاب يا حاج ؟ "

ولوح (يوسف) بالورقات ناحية العجوز ليراها ، ولكن العجوز رد بسرعة

- " عشرة جنيهات "

***

((عن رواية الرحالة أحمد بن اسحاق البغدادي رحمه الله واسكنه فسيح جناته

***

ضحك الجميع بما فيهم (يوسف) ، ثم بدأ يتكلم في جدية

- " لقد عثرت على مخطوطة نادرة جداً "

- " ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

- " يعني إيه مخطوطة .!! "

***

" لن تجده في سور الأزبكية الآن لأنه في مقبرته ، لقد توفي عم (صبحي) منذ ما يقارب السبعة عشر عاماً ، وكان يمتلك كشكاً بجانب هذا الكشك فعلاً ، ولكن يبدو أن أحدهم قد وصف لك المكان والشخص ، ماذا يحدث لك يا بني ؟ لماذا أنت مندهش هكذا ؟

اجلس يا بني فالإعياء يبدو عليك بشدة ، هل أنت من طرف أحد أقربائه أم ماذا ؟ "

***

أعوذ بكم يا أهل وادي الجن ، أعوذ بالملك الأحمر ، وأعوذ بسمسائيل ، وأعوذ بالمخلي بن ذاعات ، وأعوذ بسيد وادي العداه وسيد وادي القرنيم

***

هل رأيت نظرة الخروف وهو يرى السكين التي سيذبح بها ..؟؟ ربما ستجده ينظر لها بهدوء وبتسليم فلن يستطيع فعل شيء بالتأكيد ، هذه هي النظرة التي نظر بها (يوسف) للمخلي أمامه وهو يقول :

- " إذن فقد قدمت لك أعز أصدقائي كقربان لك وقمت بإعادتك من سجنك مرة أخرى ماذا تريد مني الآن ، هل ستعطيني الجن الذي سيخدمني أم ستقتلني ؟؟ "

لأول مرة لم يبتسم (المخلي) منذ بداية الحديث ، لقد ارتسمت على ملامحه الغضب وهو ينظر ليوسف للحظات مرت على (يوسف) كأنها ساعات ثم قال :

- " عقدت اتفاقاً مع جدك ولكن جدك نقض اتفاقنا وخانني وجعلني اسجن كل تلك السنوات ، هل تعتقد أنني لن أنتقم منك يا بني ؟ للأسف سأقتلك انتقاماً من جدك ولكنه لن يكون قتلاً عادياً

بل سأعذبك حتى تتمنى الموت فلا تجده ، ستموت بأشنع طريقة تتخيلها يا بني ، صدقني أنا أشفق عليك وأرتجف مما سأفعله بك ولكني واثق أنك ستجد عذراً لي "

وهنا أرتفع صراخ (يوسف) بحرقة

١٣ – انتهاء العودة

الظلام يحيط بالشقة من جميع جوانبها ، بالطبع نحن لا نرى خلف الظلام ولكن صدقني لن تريد رؤية تلك الأشـياء الـتي يحيط بها الظلام .. انتظر ..؟ هناك صوت خطـوات ثقيلـة تتحرك باتجاه المنضدة التي كان الأصدقاء يجلسون عليها

يد ما تمسك بعلبه الثقاب الموضوعة على المنضدة ثم يشتعل عود ثقاب ويتجه ليشعل الشمعة التي على المنضدة ، الـشمعة تشتعل الآن ليظهر على ضوئها الكثير والكثير مـن الأشـياء المرعبة

ولكن أكثر تلك الأشياء رعباً هو الشخص الذي أشعل عود الثقاب ليضيء الشمعة ، لقد كانت له خلقه مريعة .. ماذا ؟؟؟ إنه (المخلبي) بنفسه ، الوجه المستطيل ولون الجلد الغريب

ولكن هذه المرة هناك شيء مميز بوجهه ، لقد سقط الضوء على وجهه ليظهر وجهه وهو يبتسم ، وحوله تناثرت جثـث الأصدقاء

***

إلى اللقاء في الجزء القادم

(مخطوطة بن إسحاق)

المرتد

حسن الجندي

